

جلبير الأشقر*

أيخمان في القاهرة: قضية أيخمان

في مصر عبد الناصر**



تتناول هذه الدراسة موقف مصر جمال عبد الناصر من محاكمة أدولف أيخمان في القدس بين سنتي ١٩٦٠ و١٩٦٢، وتسعى من خلال مراجعة دقيقة لما كان يُنشر في جريدة "الأهرام" الناطقة باسم نظام عبد الناصر، لتنفيذ الدعاية الإسرائيلية التي تتهم مصر والعرب والفلسطينيين، بالتحالف مع النازية وحماية المتهمين بالمسؤولية عن المحرقة، وبالعداء للسامية، واستطراداً محاولة ربط العرب من خلال مزاعم العداء للسامية بالمحرقة النازية.

* أستاذ في دراسات التنمية والعلاقات الدولية، ورئيس مركز الدراسات الفلسطينية في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن.

** المصدر: Gilbert Achcar, "Eichmann in Cairo: The Eichmann Affair in Nasser's Egypt", *Arab Studies Journal*, vol. XX, no. 1 (Spring 2012).

ترجمة: نسرين ناصر، ومراجعة الكاتب.

كان

أدولف أيخمان من مهندسي المحرقة الرئيسيين، إذ كان المسؤول النازي الأول عن تنظيم ترحيل اليهود الأوروبيين إلى معسكرات الاعتقال والإبادة خلال الحرب العالمية الثانية، ونجح في الهرب من الاعتقال بعد الحرب، واختبأ في الأرجنتين منذ سنة ١٩٥٠ منتحلاً هوية مزورة. وفي أيار / مايو ١٩٦٠، خطفه فريق من عملاء الموساد في إحدى ضواحي بوينس آيرس، ونقله سراً في طائرة إلى إسرائيل حيث خضع للمحاكمة اعتباراً من نيسان / أبريل ١٩٦١ حتى أواخر السنة نفسها، وسط اهتمام عالمي بإجراءات محاكمته الدرامية. وقد ثبتت المحكمة العليا الإسرائيلية حكم الإعدام بحقه في أيار / مايو ١٩٦٢ بعد النظر في الاستئناف الذي قدّمه، وأُعدم في ٣١ أيار / مايو ١٩٦٢.^١

يتوقف هذا البحث عند تغطية قضية أيخمان في جريدة "الأهرام"، الصحيفة المصرية الأولى في عهد جمال عبد الناصر، ويستكشف السلسلة الكاملة للتعابير والمواقف التي وردت في الصحيفة بشأن المسؤول النازي السابق في الفترة الممتدة بين سنتي ١٩٦٠ و١٩٦٢، أي مرحلة النظر في قضية أيخمان ومحاكمته. كما يتطرق إلى المواقف من إسرائيل واليهود والنازية خلال تلك الأعوام، ويسأل على وجه التحديد ما إذا كان العداء تجاه إسرائيل - التي كانت آنذاك العدو القومي الأول لمصر - قد تخطى الشعور القومي وتحول إلى عداة للسامية وتعاطف مع النازية بحسب المشاعر التي دأبت مجموعة واسعة من الكتابات على نسبها إلى الناصرية.^٢

كانت مصر بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر - الزعيم السياسي العربي الذي فاق الآخرين جميعاً شعبية في تلك المرحلة - هي القوة السياسية المهيمنة في العالم العربي.

فخلال الأعوام الممتدة بين حرب السويس في سنة ١٩٥٦ وحرب الأيام الستة في سنة ١٩٦٧، حددت مصر عبد الناصر اتجاه الأغلبية الكبرى من الرأي العام العربي في مجموعة واسعة من المسائل، ولا سيما تلك المتعلقة بإسرائيل. هذا وكانت مصر، عندما خُطف أيخمان من الأرجنتين، تقود الاتحاد الذي أعلنته مع سورية في سنة ١٩٥٨ تحت اسم "الجمهورية العربية المتحدة". وكان مجد عبد الناصر قد بلغ ذروته، وصمد - على الرغم من تطلّخه بعض الشيء - في إثر فشل ذلك الاتحاد وحلّه في أيلول / سبتمبر ١٩٦١. وكانت الراديكالية الاجتماعية التي بدأت تأخذ منحاًها في نظام عبد الناصر في تلك السنة - والتي ساهمت في التسبب بالانفصال بين البلدين - منسجمة إلى حد كبير مع روح العصر الاشتراكية السائدة في العالم الثالث آنذاك، وقد استقطبت تعاطفاً شعبياً كبيراً في مختلف أنحاء المنطقة العربية، بما في ذلك سورية نفسها.

كان الجميع ينظر إلى صحيفة "الأهرام" المصرية بصفقتها الناطقة باسم نظام عبد الناصر، ولا سيما بعد تأميمها في أيار / مايو ١٩٦٠، ومن هذا المنطلق، فإنها تشكّل المؤشر الأكثر جدوى إلى دراسة ردة فعل النظام على المحاكمة. وقد تسلّم رئاسة تحريرها منذ سنة ١٩٥٧ محمد حسنين هيكل، صديق عبد الناصر الحميم منذ الأيام الأولى لثورة ٢٣ يوليو، أي الانقلاب العسكري الذي أسقط النظام الملكي في سنة ١٩٥٢ وأوصل "الضباط الأحرار" إلى السلطة. وكان لهيكل مساهمة كبيرة في تكوّن آراء صديقه السياسية وتجليها إلى العلن، بدءاً من كتاب "فلسفة الثورة" الذي نشره عبد الناصر في سنة ١٩٥٤، والذي ساهم هيكل في صوغه.^٣ وأصبح هيكل، بصفته رئيس تحرير "الأهرام" وكبير كتّابها، المتحدث شبه

الأكبر من العالم الثالث، صورة إسرائيل كدولة استعمارية عدوانية، متحالفة مع القوتين الاستعماريتين الأوروبيتين الرئيسيتين في مشروع استعماري الهوية لا يرقى إليه الشك في استعماريته.

ثانياً، كان مطلع الستينيات حافلاً بالأحداث أيضاً في التاريخ العالمي عامة، فقد شهدت تلك الأعوام تطورات درامية في مسار الحرب الباردة، وتشنجاً في العلاقات الدبلوماسية بين القوتين العظميين تجلّى من خلال صراعات داخل الأمم المتحدة. وشهدت مرحلة الستينيات اندلاع الأزمة ثم الحرب في الكونغو، وفك الاستعمار عن الجزائر ونيلها استقلالها، وانعطاف كوبا نحو الاشتراكية، واجتياح خليج الخنازير، وصعود شخصيات مثل [دوايت] أيزنهاور و[نيكيتا] خروشوف و[جون] كينيدي وسواهم، فضلاً عن التغيرات الدرامية في وضع مصر الداخلي في خضم انعطافها نحو الاشتراكية. وفي ظل هذه الأوضاع، فإن قضية أيخمان - بما في ذلك الأزمة الدولية التي نشبت بين الأرجنتين وإسرائيل جزاء الخطف غير القانوني للمجرم النازي على الأراضي الأرجنتينية - لم تصدر العناوين الرئيسية في "الأهرام" إلا فيما ندر.

ثالثاً، في مطلع الستينيات، كان أعضاء نظام عبد الناصر وأنصاره لا يزالون يجسدون الطيف الواسع من الحساسيات السياسية التي كانت قائمة في صفوف "الضباط الأحرار" الذين أطاحوا النظام الملكي المصري في سنة ١٩٥٢، باستثناء تيار واحد مهم متمثل في جماعة "الإخوان المسلمين" التي تصادم عبد الناصر معها منذ سنة ١٩٥٤. وقد أصبحت الجماعة بعد ذلك الدّ أعداء النظام المصري، مدعومة من المملكة العربية السعودية التي ما لبثت مصر أن خاضت معها حرباً بالوكالة في

الرسمي باسم عبد الناصر، وكانت تعليقاته عن الشؤون العالمية والإقليمية، وكذلك عن السياسة الداخلية، تمثل آراء النظام، بل إنها ساهمت في تكوّن تلك الآراء بشأن مجموعة واسعة من المسائل. ومع ذيوع صيت الصحيفة بأنها الناطقة باسم النظام، تعززت هيبتها وأهميتها على المستويين الإقليمي والدولي بالتوازي مع تنامي مجد عبد الناصر. وقد تجاهل رامي غينات [المحاضر في الدراسات السياسية في جامعة بار - إيلان] والباحث المشارك السابق في مركز بيغن - السادات للدراسات الاستراتيجية] هذه النقطة نوعاً ما في تأكيده أن هيكل "جعل [الأهرام] الصحيفة الأهم في العالم العربي" و"الصحيفة التي يُقتبس منها أكثر من أي صحيفة أخرى، والتي تضم العدد الأكبر من المشتركين في الستينيات."

السياق التاريخي

إن بعض الأوضاع التاريخية الأساسية له أهمية حاسمة لدى النظر في تغطية "الأهرام" لمحاكمة أيخمان:

أولاً، عندما انطلقت القضية مع قيام الموساد بخطف أيخمان، لم يكن قد مضى سوى اثني عشر عاماً على إعلان دولة إسرائيل في أيار / مايو ١٩٤٨، والذي تزامن مع نشوب الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى، وما رافقها من تطهير عرقي لفلسطين عُرف باسم "النكبة". كانت مشاعر العداء لإسرائيل شديدة في العالم العربي في سنة ١٩٦٠، ولا سيما أن إسرائيل كانت قد شنتّ قبل ذلك بأقل من أربعة أعوام، وبالتعاون مع بريطانيا وفرنسا، العدوان الثلاثي ضد مصر في أعقاب تأميم عبد الناصر قناة السويس. وقد رسّخت حرب السويس في العالم العربي، كما في الجزء

عن إنكار المحرقة كانت نادرة أو خافتة في "الأهرام" خلال العامين في قيد الدراسة.

العرب في محاكمة أيخمان

النقطة الخامسة التي يجب إبقاؤها في البال هي الكيفية التي تم فيها إخراج محاكمة أيخمان ذاتها، ذلك بأن أحد الأهداف الأساسية للمحاكمة كان في نظر القيادة الإسرائيلية، قيمتها كأداة في الصراع مع الدول العربية المجاورة. فقد كتبت حنة أرندت، من خلال استشهادها بالتفسير الذي أعطاه دافيد بن - غوريون لأمره بخطف أيخمان، أن "أحد الدوافع خلف محاكمة أيخمان كان إخراج النازيين الآخرين من أوكراهم. مثلاً كشف الارتباط بين النازيين وبعض الحكام العرب".^{٦٧} وروت حنة يابلونكا الضغوط السياسية التي مارستها وزيرة الخارجية الإسرائيلية آنذاك، غولدا مئير، على النائب العام، إذ طلبت منه "انتقاد النازية الجديدة وتوريطها، عبر التشديد على أن النازيين الجدد وجدوا ملاذاً في البلاد العربية".^{٦٨} وأضافت يابلونكا: "حرصت مئير بشكل خاص على الكشف عن الأنشطة التي قام بها في زمن الحرب [الحاج أمين الحسيني] مفتي القدس الأكبر الذي كان الزعيم الديني والوطني لعرب إسرائيل [كذا] خلال الثلاثينيات والأربعينيات، والذي كان يتعاطف بقوة مع النازية". وفي وصفها لتأثير المحاكمة في شباب إسرائيل، ركزت يابلونكا على تشكّل "قلق وجودي عززته عدة أمور أبرزها أن إسرائيل محاطة بدول عربية معادية كانت تدور في فلك النازية وباتت الآن متأهبة، مع كل جيل جديد، للانقضاض علينا وإبادتنا".^{٦٩} ويشرح هذا السياق أيضاً كيف "أكدت المحاكمة أيضاً الحاجة إلى إسرائيل قوية، وذلك من خلال

اليمن. وكان النظام "الناصري" لا يزال يضم طيفاً واسعاً من التوجهات السياسية والفكرية التي تراوحت من يمين القومية العربية إلى يسارها، وصولاً إلى الماركسية السوفياتية وسواها من النزعات الماركسية (ومدارس الفكر شبه الماركسية على غرار مدرسة سارتر)، على الرغم من قمع النظام للشيوعيين في سنة ١٩٥٩. وعبر عن هذه المواقف المتعددة الكتاب الذين ساهموا بصورة منتظمة أو غير منتظمة في "الأهرام" في مطلع الستينيات. أما الخط التحريري العام للصحيفة، كما حدده هيكل، فاندرج في إطار الفكر القومي العربي اليساري غير الشيوعي أو المناهض للشيوعية، والمنتزعة إلى النزعة المناهضة للإمبريالية التي سادت في العالم الثالث، والتي جسّدتها حركة عدم الانحياز التي تأسست في سنة ١٩٦١.

رابعاً، ثمة أمر مهم يجب أخذه في الاعتبار وهو أن المعرفة التاريخية عن المحرقة كانت لا تزال، مقارنة بالوقت الحالي، محدودة جداً في الفترة التي أثّرت فيها قضية أيخمان. وفي الواقع، فإن التأثير الذي أحدثته محاكمة أيخمان هو الذي أتاح لراؤول هيلبرغ أن يحصل أخيراً على التمويل لطبع كتابه "تدمير اليهود الأوروبيين" الذي هو أعظم أعماله، فقد صدر الكتاب عن دار نشر أميركية صغيرة في سنة ١٩٦١ بعد ستة أعوام على الانتهاء من وضعه،^{٧٠} إذ لم يكن ثمة معلومات كافية في ذلك الوقت عن النطاق الكامل للإبادة النازية، ولم يكن رقم ستة ملايين ضحية يهودية مقبولاً به على العموم كرقم صحيح. والإشارة هنا إلى هذا الأمر ليست الغاية منها تبرير بعض أشكال إنكار المحرقة بشكل مسبق، وإنما على العكس، هي تسليط الضوء على الحقيقة التي ربما تكون مفاجئة، وهي أن مظاهر التعبير

دأبت مصادر صهيونية على نشر هذه الرواية طوال عدة أعوام، ولا يزال ممكناً العثور على أثر لها في الإنترنت في إطار الدعاية الصهيونية الأكثر ابتداءً^{١٢}. وفي الواقع، فإن أيخمان أمضى، وهو في طريقه إلى مصر، بضع ساعات فقط في ميناء حيفا حيث حاول الحصول على تأشيرة من السلطات البريطانية لدخول فلسطين، غير أنه لم ينجح في ذلك. وكتب ديفيد سيزاراني، واضع سيرة أيخمان:

في أثناء محاكمته، حاول الادعاء الإصرار على أن مهمته [مهمة أيخمان] كانت تقوم في جزء منها على بناء روابط مع مفتي القدس الأكبر والقوميين العرب الذين كانوا يناضلون من أجل منع هجرة اليهود وتدمير المستوطنات اليهودية في فلسطين. لكن... لا أدلة تثبت أنه كان ينوي لقاء وجهاء عرب لتأجيج مشاعر العداة ضد اليهود، فهذا الأمر كان يتناقض مع سياسة جهاز الأمن النازي (SD).^{١٣}

إن تأجيج مشاعر العداة ضد اليهود في أوساط العرب في فلسطين كان يتناقض مع سياسة جهاز الأمن النازي لأن تلك السياسة كانت في سنة ١٩٣٧ تقوم على تشجيع هجرة اليهود الألمان إلى فلسطين والعمل عن كثب مع المنظمات الصهيونية لأجل تلك الغاية. بعبارة أخرى، لم تكن محاولة أيخمان زيارة فلسطين تهدف إلى دعم الثورة العربية، وإنما على النقيض، كانت زيارته تلبية لدعوة من عميل سابق في الهاغاناه التقاه في برلين، وبالتنسيق معه.^{١٤} وقد أكد أيخمان هذه الوقائع خلال استجواب الشرطة الإسرائيلية له، وتطرّق إليها بالتفصيل في

الربط بين التهديدات العربية والنازية للشعب اليهودي.^{١٥} شكّل "إضفاء الصبغة النازية" على العرب عامة، والفلسطينيين خاصة، سمة مركزية في الأيديولوجيا والدعاية الصهيونيتين منذ الحرب العالمية الثانية. واكتسب هذا الأمر أهمية خاصة بسبب هروب المفتي، الحاج محمد أمين الحسيني، إلى روما وبرلين في سنة ١٩٤١، وتعاون الوثيق مع النظامين الرئيسيين في دول المحور. وعلى هذا الأساس الضعيف الذي يرتبط بسلوك المفتي بصورة أساسية من دون تدعيمه بأي أدلة ملموسة تثبت وجود تعاون ذي شأن بين عرب في الشرق الأوسط وألمانيا النازية،^{١٦} سعت الدعاية الصهيونية بعد الحرب لإظهار الفلسطينيين والعرب - القوميين العرب المعادين للصهيونية على وجه التحديد - على أنهم ورثة النازية. وهذه المناورات التي ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا وبوتيرة أكثر حدة من أي وقت مضى، استندت إلى ثلاث حجج دعائية رئيسية: الأولى تمثلت في الزعم بأنه كان للنازيين ضلوع مباشر في الثورة العربية الفلسطينية خلال الفترة ١٩٣٦ - ١٩٣٩؛ الثانية كانت محاولة منهجية ومنظمة لتضخيم ما فعله الحاج أمين الحسيني بين سنتي ١٩٤١ و ١٩٤٥ عبر اتهامه بالمساهمة في تخطيط الإبادة التي ارتكبتها النازيون وفي تنفيذها؛ الثالثة ركزت على الزعم بأن آلاف المسؤولين النازيين لجأوا بعد الحرب إلى الدول العربية وانخرطوا في مجهودها الحربي والدعائي ضد إسرائيل. في السيرة التي صدرت مؤخراً عن "صياد النازيين" الشهير سيمون وايزنتال، يستشهد كاتبها توم سيغيف بما أورده صحيفة عبرية في فلسطين في سنة ١٩٤٦ من تأكيد أن الغاية من زيارة أيخمان للبلد في سنة ١٩٣٧ كانت "تنظيم الثورة العربية".^{١٧} وقد

بوسعي لتسهيل عمله وتعزيزه.^{١٨}

وتتمثل الحجة الدعائية الثانية التي استُخدمت لـ "إضفاء الصبغة النازية" على الفلسطينيين والعرب في التضخيم المبالغ فيه لدور الحسيني في أوروبا بين سنتي ١٩٤١ و١٩٤٥.^{١٩} وكان أحد العناصر الأساسية في هذا التضخيم هو الزعم المتواصل. والمحاولات التي لا تكل لإثباته - بأن الحسيني عمل يداً بيد مع أيخمان في تنظيم ترحيل اليهود إلى معسكرات الاعتقال، وأنه حافظ على علاقة وثيقة معه لهذه الغاية، حتى إنه زُعم أن أيخمان اصطحب المفتي في جولة على أوشفيتز - وهي أسطورة اخترعها سيمون وايزنتال بحسب كاتب سيرته توم سيغيف.^{٢٠} وهنا أيضاً، ساهمت محاكمة أيخمان في دحض هذا الزعم أكثر من إثباته. فرداً على سؤال سرفاتيوس: "هل كنت على تواصل مع المفتي؟ هل تعاونت معه؟" أجاب أيخمان:

على حد علمي رأيتُ المفتي مرة واحدة فقط، وكان هذا خلال أمسية نظمتها الدائرة السادسة في دار الضيافة التابعة لجهاز الأمن، ودُعي إليها معظم الضباط الأخصائيين في المكتب الرئيسي الخاص بأمن الرايخ، وقد جرى تقديم كل واحد من الضباط الأخصائيين، وأنا منهم، إلى المفتي. في ذلك الوقت، كان هناك اتفاق بين المفتي وهملر ينص على وجوب مرور عدد من الأشخاص - أنا على علم بثلاثة أشخاص فقط - عبر المكتب الرئيسي لأمن الرايخ بصفقتهم عملاء استخبارات، وفي هذه الحالة، كانوا ثلاثة ضباط عراقيين برتبة رائد. فبحسب الأوامر، جاء هؤلاء

مذكراته التي كتبها على دفعتين خلال اعتقاله، الأولى قبل محاكمته، والثانية بين صدور الحكم والاستئناف.^{٢١} أدرك الادعاء الإسرائيلي أن زيارة أيخمان للشرق الأوسط ليست على الإطلاق حجة يستطيع استخدامها ضده، ولا استعمالها لأغراض مناهضة للعرب. ولذلك جرى التقليل من شأنها خلال المحاكمة، بينما تبنت أيخمان في الواقع ما وصفه ديفيد سيزاراني بأنه "حجة أساسية في الدفاع" مختصراً تلك الحجة بجملة واحدة قصيرة: "كان أيخمان صهيونياً."^{٢٢} وفعلاً، عندما طلب محامي الدفاع روبرت سرفاتيوس من أيخمان أن "يشرح موقفه من مسألة الصهيونية"، أجاب هذا الأخير:

نعم يا سيدي، إن فرض الهجرة وترويجها تمّ في ذلك الوقت بناء على أوامر من رؤسائي. فالصهيونية كانت تروّج للهجرة إلى فلسطين في عدة بلاد، ورؤسائي لم يفرضوا أي قيود على أي دولة؛ والمقصود بذلك أنه لم يفرض حظر على أي دولة. ولذلك كان عليّ الترويج للصهيونية، وعن طريق الإكراه طبعاً بحسب الأوامر.

في تلك المرحلة، قرأت كتاب "دولة اليهود" (Judenstaat) لأدولف بوم [كذا]^{٢٣}. هذا كان اسم المؤلف على ما أظن. وانخرطت بالتدريج في مهمات الجمعيات الصهيونية في عدة بلاد، وأصبحت متألّفاً مع المنظمات التابعة لها. وأظن أنه ليس في إمكان أي موظف صهيوني في تلك الأيام أن يشتكي من أنني عرقلت عمله، لا بل عليه أن يؤكد أنني بذلت كل ما

وعلى الرغم من ذلك، تجاهلت "الأهرام" بالكامل وعمداً جوانب المحاكمة الآنفة الذكر، وأحجمت عن السجال مباشرة مع ما بدا للمراقبين دعاية مناهضة للعرب، بل لم تأت قط على ذكر الحسيني الذي كان قد أصبح شخصاً غير مرغوب فيه في مصر، إذ رأى نظام عبد الناصر فيه صديقاً لجماعة "الإخوان المسلمين"، مقرباً من الأوساط المدعومة من السعودية. وفي أواخر الخمسينيات، طلب النظام من المفتي مغادرة القاهرة حيث أقام مقره الرئيسي بعد حرب ١٩٤٨.

خطف أيخمان

في ٢٣ أيار / مايو ١٩٦٠، أعلن دافيد بن - غوريون بلهجة المنتصر أمام الكنيست الإسرائيلي والعالم بأسره أن أدولف أيخمان محتجز في إسرائيل. كان مجرم الحرب النازي قد اقتيد سراً إلى البلد قبل يومين. يؤكد الأكاديميان الإسرائيليان منير ليتفاك وإستر وبمان في كتابهما عن رداة الفعل العربية على المحرقة، أنه: "انقضى أسبوع تقريباً قبل أن تنشر الأهرام تقريرها الأول".^{٢٤} ويتكهنان بسبب هذا التأخير، فيعزوانه إلى افتقار الصحافة المصرية المؤممة إلى حرية التعبير، ويفترضان أن الصحيفة "كانت ربما تنتظر الحصول على التعليمات بشأن كيفية كتابة التقرير":

فضلاً عن ذلك، يبدو أنه جرى تأجيل التعبير عن ردة الفعل بانتظار تحديد المسار الذي ستسلكه القضية، ربما بسبب ارتباطها بالمحرقة. فقد واجه صوغ التقارير العربية معضلة في إعداد تقارير عن عملية الخطف وإدانة إسرائيل من دون أن توحى كأنها

الضباط العراقيون الثلاثة للعمل يوماً أو يومين في قسمي لاكتساب المعلومات. لم أعد أتذكر جيداً. بعد ذلك، لم يعد لي أنا، ولا لأي ضابط في "قسم الشؤون اليهودية والإجلاء"، أي علاقة بالمفتي قط، أو بأي من الضباط العراقيين الثلاثة.

سرفاتيوس: هل عرض عليك المفتي خدماته كمستشار في الشؤون اليهودية؟

المتهم: كلا، وأكثر من ذلك، لم أتبادل الكلام مع المفتي قط، ما عدا ذكر اسمي عندما تم تقديمي إليه. لم يكن لي أي علاقة عملية بالمفتي على الإطلاق.^{٢٥}

أما الحجة الدعائية الثالثة التي استُخدمت في الجهود الصهيونية المتواصلة لـ "إضفاء الصبغة النازية" على العرب، فكانت الزعم بأن أعداداً كبيرة من المسؤولين النازيين لجأت إلى البلاد العربية وساهمت في أنشطتها المناهضة لإسرائيل. وعلى غرار الأسطورة التي زعمت أن أيخمان اصطحب الحسيني في جولة على أوشفيتز، ساهم وايزنتال في تلفيق هذه الرواية أيضاً. فكما ورد على لسانه، "انتزعت من خيط واه" في أواخر الأربعينيات خبراً فحواه أن أيخمان نفسه كان يختبئ في القاهرة، ملفقاً رواية عن اتصال هاتفي أجراه المسؤول النازي السابق بعائلته من هناك.^{٢٦} وقال وايزنتال متباهياً لأحد أصدقائه: "أعتقد أنني خدمت القضية اليهودية بهذه الطريقة، في مجال الدعاية".^{٢٧} وعلى هذا الصعيد أيضاً، أحبطت محاكمة أيخمان رغبة بن - غوريون في أن "يُخرج" النازيين السابقين العاملين لدى الحكام العرب "من أوكارهم".

تتماهى مع أيخمان أو تدافع عنه، وفي تقديم تقارير موضوعية وموثوق بها من دون إظهار أدنى تماهٍ مع المحرقة، بما يمكن أن يدفع القراء إلى الشعور بالشفقة أو التعاطف مع إسرائيل والشعب اليهودي.^{٢٥}

هكذا، حدّد الكاتبان الحبكة والملابسات مسبقاً، لكن يمكن الاعتراض بسهولة على أسلوبهما في التكهّن بأسباب التأخر في نشر تقرير عن حدث معين، وفي تفسير الأمر على أساس تأكيد قطعي هو نفسه محض تكهّني، ذلك بأن تأكيدهما ينبع من تصوّر نفسي بأن الإعلام العربي يواجه "معضلة" في تفادي "إظهار أدنى تماهٍ مع المحرقة" خشية أن يدفع ذلك بالقراء إلى "الشعور بالتعاطف مع إسرائيل والشعب اليهودي". فضلاً عن ذلك، يقدّم الكاتبان الافتراض أنه لا يمكن التعاطف مع "الشعب اليهودي" من دون التعاطف مع إسرائيل، كأنه أمر طبيعي وبديهي إلى درجة أنه لا يستدعي حتى وقفة للتفكير في مدى صحته. إلا إن خطأهما الأساسي كان واضحاً ومباشراً، إذ تغاضيا ببساطة عن واقع أن "الأهرام" أوردت خبر اعتقال أيخمان في إسرائيل في عددها الصادر في ٢٤ أيار / مايو، فقد نُشر الخبر في وسط الصفحة الأولى، ومع ذلك تجاهلاه - ربما لأنه لم يتلاءم مع توقعاتهما.

فعلاً، في اليوم التالي لإعلان بن - غوريون، ظهر النبأ - خبر موجز في خانة نقلاً عن وكالة "يو بي أي" - في الصفحة الأولى لجريدة "الأهرام" تحت العنوان الآتي: "إسرائيل تعتقل مساعد هتلر الذي أمر بإعدام ستة ملايين يهودي أثناء الحرب."^{٢٦} وبعد ثلاثة أيام نشرت "الأهرام" خبراً آخر على صفحتها الأولى أيضاً جاء فيه، نقلاً عن وكالة "رويترز"، أن "إسرائيل لن توافق على

محاكمة أدولف أيخمان المتهم بإعدام ستة ملايين يهودي أمام محكمة دولية.^{٢٧} وقد عرض الخبر الموقف الإسرائيلي الذي اعتبر أن جرائم أيخمان، على الرغم من أنها ارتُكبت في بلاد أجنبية، "إلا إنها وقعت ضد الشعب اليهودي ولهذا السبب يجب أن يُحاكم في الدولة اليهودية." ولم يرد أي تعليق إضافي. وخبر خطف أيخمان من الأرجنتين ذُكر لأول مرة، ونُسب إلى صحيفة نمساوية، نظراً إلى أنه لم يكن قد تم تأكيده بصورة رسمية بعد. في ٧ حزيران / يونيو، نشرت "الأهرام" في صفحتها الأولى رواية تداولتها وكالات الأنباء نقلاً عن صحيفة بريطانية، وحواسها أن أيخمان حاول الانتحار، وهو نبأ نفته السلطات الإسرائيلية. ونقلت المقالة أيضاً تصريح وزير العدل الإسرائيلي أن محاكمة أيخمان لن تتم قبل ستة أشهر، وتحدثت عن ظهور كتابات مؤيدة للنازية وتحيي أيخمان على جدران مقبرة هايبايت في لندن. وفي اليوم التالي، وعلى الصفحة الأولى أيضاً، ذكرت مقالة إقرار إسرائيل بخطف أيخمان من الأرجنتين، معتبرة الزعم أن مجرم الحرب النازي استسلم طوعاً لإسرائيل هو "كذبة مكشوفة لا تدخل على عقل صبي صغير."^{٢٨} وتطرقت الصحيفة أيضاً إلى اندلاع شرارة الشجار الدبلوماسي بين إسرائيل والأرجنتين، ونشرت مزيداً من التفاصيل عن ذلك في العدد الصادر بتاريخ ١٠ حزيران / يونيو.

وفي ذلك اليوم نفسه، نُشرت المقالة المفصلة الأولى عن القضية في الصفحة الثانية، بينما ركّز العنوان على الخلاف الدبلوماسي. بيد أن المقالة عرضت سيرة أيخمان وتطرقت إلى عملية خطفه نقلاً عن مجلة "تايم"، ولخصت ما قالت إنها عقيدة أيخمان بشأن "الحل النهائي": "إن الصهيونية [كذا] يجب أن تُستأصل لأنها لا تنطوي إلا

تعليق، موجة أعمال مناهضة لليهود في أميركا اللاتينية، بما في ذلك برقية أرسلتها منظمة مكسيكية إلى الحبر الأعظم جاء فيها أن خطف أيخمان هو جريمة أسوأ من تلك التي اتُهم بارتكابها.^{٢١}

في ١٦ حزيران / يونيو، نشرت "الأهرام" في صفحتها السادسة مقالة الرأي الأولى المخصصة لقضية أيخمان. والمناسبة كانت عقد اجتماع مجلس الأمن الدولي لمناقشة الشكوى الأرجنتينية ضد إسرائيل. وعنوان تلك المقالة الموجزة هو "القرصنة الدولية". وكما يمكن توقعه، فإن المقالة تحدثت بعبارات شديدة اللهجة عن انتهاك إسرائيل للسيادة الأرجنتينية، إلا إن رسالتها الأساسية كانت موجهة إلى الولايات المتحدة، فقد حملتها المسؤولية عن تغطية السلوك الإسرائيلي، وتساءلت عما إذا كانت واشنطن تريد أن تسود شريعة الغاب في العلاقات الدولية. كما وجهت المقالة رسالة ثانية إلى البلاد التي اعترفت بإسرائيل وصددها خطف أيخمان من على الأراضي الأرجنتينية، فقالت إن "القرصنة" الإسرائيلية تكشف طبيعة إسرائيل الحقيقية كدولة قائمة على الظلم والعدوان.^{٢٢}

في ٢٢ حزيران / يونيو، حمل خبر موجز ورد في الصفحة الأولى نقلاً عن وكالة "أسوشيتد برس" العنوان الآتي: "المجلس اليهودي الأميركي يعلن: إسرائيل تكذب عندما تتحدث باسمنا في اختطاف أيخمان"، وتحدثت عن رسالة وجهها "المجلس الأميركي للديانة اليهودية" (American Council for Judaism)، [سمّته "الأهرام" المجلس اليهودي الأميركي] وسنعمد هنا تلك التسمية إلى وزير الخارجية الأميركي آنذاك كريستيان هرتز يشدد فيها على أن اليهود الأميركيين لا يعتبرون اليهودية "قومياً" وإنما دين، ولا يقبلون بالتالي أن تتكلم إسرائيل باسمهم.

على الشرّ والغدر، وإن الحل الأخير لتجنّب شرورها هو إبادةها." وقد حاول كاتب المقالة على ما يبدو انتقاء عباراته توخياً للصوابية السياسية عبر استبدال اليهودية بالصهيونية، من دون أن يدرك أن الجملة استحالت عبثية. ثم روت المقالة كيف أن أيخمان، وبعدهما عينته الحكومة النازية على رأس دائرة الشؤون اليهودية في البوليس السري (الغيستابو) وعهدت إليه مسؤولية تنفيذ "الحل النهائي"، "مضى في تنفيذه بحماسة غريبة حتى بلغ عدد ما اتُهم بإبادة من اليهود نحو ستة ملايين." وجاء في المقالة أيضاً أن "عمليات الإبادة الرئيسية المنظمة التي أشرف عليها أيخمان كانت تتم في معسكر الاعتقال بمدينة أوشفيتز في بولندا.^{٢٣}

واعتباراً من ١١ حزيران / يونيو، باتت مقالات "الأهرام" عن أيخمان تركز بصورة رئيسية على "القضية الدولية" التي أثارها خطفه، ففي ١٢ حزيران / يونيو، نقلت الصحيفة عن قاض سابق في محكمة العدل الدولية قوله إن محاكمة إسرائيل لأيخمان لا تنسجم مع القانون الدولي، وكذلك عن حقوقي سويدي قوله إنه لا يمكن لإسرائيل محاكمة أحدهم على جرائم ارتكبت عندما لم تكن موجودة بعد. ونقلت "الأهرام" بلهجة معترضة عن صحيفة "نيويورك هيرالد تريبيون" تأكيدها أنه حتى لو كان خطف إسرائيل لأيخمان غير قانوني، فإنها تملك "الحق" (وردت الكلمة بين مزدوجين في "الأهرام") في محاكمته ومعاقبته لأنه "تسبب في إبادة كثير من بني إسرائيل!!"^{٢٤} ويبدو أن الهدف من علامتي التعجب كان التشديد على عبثية هذا الزعم في ضوء أن إسرائيل لم تكن قد رأت النور بعد عندما ارتكب أيخمان جرائمه. وفي ١٥ حزيران / يونيو، وصفت مقالة مستندة إلى وكالات الأنباء، ومن دون

في ألمانيا الغربية حيث يحتل هؤلاء الكثير من المناصب الحكومية العليا!! وكانت تونس تحتل مقعد البلاد العربية في مجلس الأمن في ذلك الوقت، فنقلت المقالة بلهجة معترضة قول مندوب تونس، منجي سليم، إنه "مما لا يمكن إنكاره أن عدوان إسرائيل على سيادة الأرجنتين نشأ عن رغبة في إنزال العقاب على رجل ارتكب ما يُعدّ من أشنع الجرائم في التاريخ...!!"^{٣٥} لكن سليم خفف من وطأة كلامه هذا بتأكيد أنه تبرير خفيف أيحسان الذي هو انتهاك للسيادة الأرجنتينية من شأنه أن يؤدي إلى عواقب خطيرة ويتعارض مع مقتضيات السلام العالمي.

وورد أيضاً في افتتاحية عن أحداث اليوم نُشرت في اليوم نفسه، تعليق على قضية أيحسان تضمن معلومات إضافية عن اجتماع مجلس الأمن الدولي، وتطورات أخرى على الساحة الدبلوماسية. وشددت المقالة على الأهمية التي يحملها رفض الرئيس الأرجنتيني أرتورو فرونديزي الاجتماع بين - غوريون، وتطرقت إلى الإجراءات التي اتخذتها الأرجنتين احتجاجاً على الإساءة الإسرائيلية، وإلى التحرك الإسرائيلي المضاد القائم على التلاعب بمشاعر العالم. وهكذا، أقرت غولدا مئير، وزيرة الخارجية الإسرائيلية آنذاك، في اجتماع مجلس الأمن الدولي، بأن حكومتها انتهكت القانون الأرجنتيني، وقدمت اعتذاراً، "ثم راحت تتكلم من الناحية العاطفية، وتلتمس أن تدرك الأرجنتين قسوة هذه الناحية عند اليهود وتأثرهم الشديد من جرائم أيحسان." وجاءت الافتتاحية أيضاً على ذكر الانقسام بين الصهيونيين بشأن ما إذا كان يجب محاكمة أيحسان في إسرائيل، أم مثوله أمام محكمة دولية، وخلصت إلى أنه ينبغي لمجلس الأمن الدولي أن يتخذ موقفاً من هذه المسألة خشية توليد سابقة خطيرة، لكنها أشارت إلى الجهود

وتابع الخبر بالتعليق على انطلاق اجتماع مجلس الأمن الدولي في اليوم نفسه لمناقشة الشكوى الأرجنتينية: "ولا شك أن إسرائيل ستستغل هذه القضية للدعاية والحديث عما لاقاه اليهود في الحرب الماضية. وستعلن بالطبع عن حاجتها لأموال للصرف على المهاجرين إليها ممن هربوا من معسكرات الاعتقال!!"^{٣٦} وفي اليوم التالي، تطرقت مقالة في الصفحة الأولى إلى اجتماع مجلس الأمن الدولي، فكانت هذه التغطية الأبرز لقضية أيحسان في "الأهرام" حتى تاريخه. وقد سلّطت المقالة الضوء على إدانة الأرجنتين الشديدة لإسرائيل، ونقلت عن وكالة "يو بي أي" تقريرها الكامل عن اليوم الأول من الاجتماع، بما في ذلك مداخلة غولدا مئير. ونُشر خبر موجز على الصفحة الأولى أيضاً بعنوان "الجنس اليهودي ليس له ذاتية خاصة في أصل الأجناس"، واستشهد بمقالة نشرتها منظمة اليونيسكو (من دون أي إشارة إضافية إلى المصدر) بقلم الدكتور هاري شابيرو من "المتحف الأميركي للتاريخ الطبيعي" يؤكد فيه أن لا وجود لما يسمى "الجنس اليهودي"^{٣٧}.

في ٢٤ حزيران / يونيو، تابعت "الأهرام" تغطيتها لاجتماع مجلس الأمن الدولي، وأفصح عنوان الخبر المنشور في الصفحة الأولى عن استهجان الدعم الغربي لإسرائيل: "مندوب أميركا يطالب بقرار معتدل" / ومندوب إيطاليا يقول: إننا نعطف كل العطف على مشاعر إسرائيل! وأبرزت المقالة مداخلة المندوب البولندي الذي وافق على وجوب محاكمة مجرمي الحرب النازيين، لكنه أصرّ أيضاً على وجوب احترام سيادة الوطنية احتراماً كاملاً. ونُقل عن السفير البولندي قوله إن عدداً كبيراً من مجرمي الحرب النازيين أفلت من العدالة، ليس في الأرجنتين فحسب، "بل أيضاً - وفي الغالب -

الواقع، فإن ترجمة عربية عن "بروتوكولات حكماء صهيون" الشهيرة، وهي وثيقة روسية مزورة ومعادية للسامية، كانت قد نُشرت في القاهرة في سنة ١٩٥٦، وكان الاعتقاد السائد بين القراء العرب بشأن تلك الوثيقة المزورة - وهو اعتقاد لا يزال سائداً حتى يومنا هذا - أنها صادرة عن الحركة الصهيونية. فقد استندت مقالة دسوقي - وكذلك ملخصها في "الأهرام" - إلى سوء تفسير للمقدمة الأصلية للوثيقة المزورة التي ادّعت أنها أصلاً وثيقة باللغة الفرنسية حصلت عليها ابنة جنرال روسي من مخبر يهودي في باريس في سنة ١٨٨٤. وأضافت المقدمة أن الشرطة الروسية وجدت لاحقاً أن محاضر المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد في مدينة بازل السويسرية في سنة ١٨٩٧، أي بعد ثلاثة عشر عاماً، تتطابق مع تلك الوثيقة. غير أن تلك الرواية، وفقاً لسوء تفسير دسوقي لها، تحولت إلى أن "البروتوكولات" ذاتها صيغت في المؤتمر الصهيوني في سنة ١٨٩٧، وأن سيدة فرنسية استطاعت الحصول على نسخة عنها من أحد "الحكام"، وهو ما عكسه العنوان الرئيسي لتقرير "الأهرام": "كيف تسربت أسرار أول اجتماع صهيوني عُقد في سويسرا". ورغبة منه في تأكيد ما جاء في "البروتوكولات"، أورد ضابط الشرطة السابق بيانات عالمية مشبوهة المصدر عن المؤسسات المالية ووسائل الإعلام التي تسيطر عليها "الصهيونية"، واستندت هذه المعلومات إلى إغفال متعمد للتمييز بين اليهودي والصهيوني، بما يتعارض مع الأيديولوجيا الناصرية الرسمية التي كانت تجد تعبيراً كبيراً عنها في صفحات "الأهرام"، وهو إغفال أفصح عن اعتناق واضح لنظرية المؤامرة بصيغتها المعادية للسامية. أمّا الهدف من مقالة دسوقي السيئة فكان تفسير قوة الحركة الصهيونية للقراء العرب، بحسب

التي يبذلها أصدقاء إسرائيل للتخفيف من حدة ذلك الموقف.^{٣٦}

قبل المحاكمة

في ٢٨ حزيران / يونيو، نشرت "الأهرام" على صفحة كاملة "تحقيقاً" عن أيام أدولف هتلر الأخيرة في "مخبئه" تحت الأرض في برلين، واستند التحقيق إلى مصادر روسية، وتحدث عن إصابة الفوهرر ببارانويا شديدة بلغ معها "ذروة الهستيريا".^{٣٧} وفي ٢٩ حزيران / يونيو، أوردت الصحيفة في خبر موجز جداً أن ألمانيا الغربية ستطلب أن يُسلم أيخمان لها إذا ما قررت إسرائيل إعادته إلى الأرجنتين. توقفت "الأهرام" عدة أشهر عن نشر أي أخبار عن قضية أيخمان،^{٣٨} وفي ١٤ تشرين الأول / أكتوبر، تطرقت مقالة إلى أن "عصابات إسرائيل تبحث عن نائب هتلر في الأرجنتين"، وتضمنت نبذة عن سيرة مارتن بورمان، "نائب هتلر المقصود في المقالة".^{٣٩} وفي ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر، نشرت "الأهرام" تقريراً عن مقالة بقلم صلاح دسوقي عن "بروتوكولات حكماء صهيون"، وكان دسوقي ضابطاً سابقاً في الشرطة ذا توجه قومي، ومن أوائل الذين رافقوا عبد الناصر و"الضباط الأحرار"، وكان يشغل آنذاك منصب محافظ القاهرة.^{٤٠} كانت هذه المقالة رديئة جداً، وربما لم تكن لتُنشر لو أن كاتبها لم يكن مسؤولاً رفيع المستوى، وقد استشهد بها في فيض من الكتابات عن "العداء الجديد للسامية" لدى العرب منذ أن ذكره برنارد لويس في كتابه عن الموضوع نفسه، والصادر في سنة ١٩٨٦.^{٤١} أمّا تقرير "الأهرام" فكان أقرب إلى الاقتباس من مقالة دسوقي الأصلية القصيرة منه إلى تلخيصه، وقد عكست المقالة نظرة خاطئة واسعة الانتشار.^{٤٢} وفي

الأميركي "يندد بالصهيونية".^٥ وفي ٧ نيسان/ أبريل، قبل أربعة أيام من انطلاق محاكمة أيخمان، أعلن خبر موجز في الصفحة الأولى، فوق صورة لأيخمان في سجنه الإسرائيلي، أن "صحيفة أميركية كبيرة" هي "شيكاغو تريبيون"، نشرت مقالة استهجن فيها أن يحاكم أيخمان في إسرائيل، هذه الدولة التي لم تكن موجودة عندما ارتكب جرائمه، وأن الرجال الثلاثة الذين سيحكمون عليه كانوا هم أنفسهم من ضحايا الجرائم المنسوبة إليه. وفي اليوم نفسه، نشرت "الأهرام" خبراً بقلم مدير مكتبها في الأمم المتحدة عن محاضرة بشأن العلاقات العربية - الأميركية ألقاها في نيويورك الأستاذ الجامعي والناشط السياسي الفلسطيني فايز صايغ،^٦ وجاء في الخبر أن صايغ الذي كان يعمل آنذاك في جامعة ستانفورد، شدد على أن قضية أيخمان كشفت كيف أن إسرائيل تستغل المواطنين اليهود في البلاد الأخرى وتدعي أنها تمثل اليهود في العالم كافة.

وفي ٨ نيسان / أبريل، قبل ثلاثة أيام من المحاكمة، نشرت "الأهرام" للمرة الأولى صفحة كاملة عن قضية أيخمان، وتحديداً عمّا سمّته في عنوان الصفحة الرئيسي "أغرب محاكمة في التاريخ". وكانت الحجة المركزية في المقالة التي كتبها سامي منصور،^٧ أن "القضية ليست إعدام رجل جاوز الخامسة والخمسين من العمر بتهمة قتل ستة ملايين من اليهود، بل هي في الحقيقة أفضل فرصة لإسرائيل منذ قامت لتحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب والأطماع". وكان للمحاكمة خمسة أهداف حقيقية بحسب المقالة: أولاً، إظهار إسرائيل بأنها "سلطة قضائية عليا تحكم باسم كل يهود العالم"؛ ثانياً، إثارة الرعب لدى النازيين السابقين الذين يشغلون مناصب

ما خلص إليه تعليق "الأهرام".
في ٢٨ شباط / فبراير ١٩٦٦، نددت مقالة افتتاحية بعنوان: "أستاذ يهودي بجامعة هارفرد يكشف للمجلس اليهودي الأميركي سياسة إسرائيل"، بمعاملة إسرائيل للاجئين العرب، وسياسة "الحرب الوقائية" التي تنتهجها. وورد في عنوان ثالث أن "حكومة تل أبيب تريد من يهود العالم أن يكون ولاؤهم لها لا للبلد الذي يعيشون فيه"، بينما استهجن عنوان رابع طريقة خطف أيخمان ومحاكمته معتبراً أنهما تعبثان بالعدالة. وعرضت المقالة نقلاً عن وكالة "أسوشيتد برس"، خطاباً ألقاه أستاذ التاريخ في جامعة هارفرد الحائز على جائزة بوليتزر، أوسكار هاندلين، في اجتماع عقده "المجلس اليهودي الأميركي" في نيويورك، ووجّه فيه انتقادات لاذعة إلى إسرائيل، ودعا اليهود الأميركيين إلى التوقف عن دعمها لأن ذلك يتعارض مع المبادئ الأخلاقية. وتطرقت المقالة أيضاً إلى كتاب عن أيخمان كان قد أصدره حديثاً الصحافي والمؤرخ البريطاني تشارلز وايتون،^٨ وتمحور الجزء الأكبر من هذا التقرير عن الكتاب حول حجج مؤلفه ضد محاكمة أيخمان في محكمة إسرائيلية بدلاً من مثوله أمام محكمة دولية، نظراً إلى أن ضحايا المسؤول النازي انتموا إلى جنسيات متعددة. ونُقل عن وايتون تأكيده في كتابه (من دون ذكر الصفحة) أن "هذه الانتقادات وغيرها تؤيدها طوائف يهودية عديدة في أنحاء العالم، وهذه الطوائف لا تعترف بحق الدولة الصهيونية في الزعم بأنها تمثل ملايين اليهود الذين يعيشون في أنحاء العالم".^٩

في ٦ نيسان / أبريل، ورد خبر موجز عن وقوع أعمال مناهضة للسامية في الأرجنتين، بينما جاء في خبر آخر تلخيص لبيان جديد صادر عن "المجلس اليهودي

ديسمبر ١٩٦٠، عن معارضتهم إجراء المحاكمة في إسرائيل، وطالبوا بأن يُحاكَم أيخمان في محكمة دولية باسم البشرية ككل، وليس باسم اليهود فقط. ثم عرضت المقالة وحللت كيف خُطف أيخمان في الأرجنتين وجرى تهريبه إلى خارج البلد، واعتبرت أن المواقف الخجولة التي صدرت عن الأرجنتين وألمانيا الغربية تعود إلى تأثير الحركة الصهيونية والحكومة الأميركية في كل من الدولتين. هذا، وأفصحت المقالة عن تبصّر حقيقي في تقويمها للصفقة التي كان أديناور قد عقدها مع الحكومة الإسرائيلية، والتي تعهدت هذه الأخيرة بموجبها بالأ تدع المحاكمة تتسبب بالإحراج للزعيم الألماني. ثم عرضت المقالة مجموعة من الحجج بهدف التشكيك في صدق مذكرات أيخمان كما نشرتها مجلة "لايف" في تشرين الثاني / نوفمبر - كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٠،^{٥٠} وذلك قبل التكهّن بالدفاع عن أيخمان التي قد ينتهجها محامي الدفاع عن أيخمان.^{٥١}

في ١١ نيسان / أبريل، أعلن خبر في الصفحة الأولى، نقلاً عن عدة وكالات، أن المحاكمة ستنتقل في ذلك اليوم، وعرض أوضاعها، ولا سيما الأهمية التي يوليها الإعلام الدولي للحدث. ونُقل عن صحيفة دنماركية أن المحاكمة ستعيد إشعال العداء لليهود لأن إسرائيل لا تُظهر أي احترام للقانون الدولي. وبموازاة هذا الخبر نُشر خبر موجز آخر من توقيع مدير مكتب "الأهرام" في الأمم المتحدة، جاء فيه أن قساً بروتستانتياً أميركياً بارزاً قال عبر شاشة التلفزيون إنه لا يحق لإسرائيل أن تتكلم باسم يهود العالم. وأكد المراسل أنه في إثر تلك المقابلة، انتشر شعور بين شريحة واسعة من الأميركيين بأن إسرائيل تنتهك القانون الدولي بمحاكمتها أيخمان.^{٥٢}

مهمة في أي مكان وذلك بهدف إرغامهم على العمل من أجل مصلحة إسرائيل. وكان من المهم بصورة خاصة ترويع إدارة المستشار كونراد أديناور في ألمانيا الغربية، التي كانت تضم عدداً كبيراً من النازيين السابقين. وجاءت المقالة على ذكر هانز غلوبكي الذي كان مدير المستشارية، على الرغم من مساهمته السابقة في صوغ التشريع المعادي للسامية في الدولة النازية؛^{٥٣} ثالثاً، إحراج أديناور والحصول على مزيد من التنازلات من ألمانيا الاتحادية؛ رابعاً، "إقناع الرأي العام العالمي بأن القومية العربية حركة عنصرية تشابه في جذورها وجوهرها النازية"؛ أخيراً، "كسب عطف العالم بخرافة الشعب اليهودي المضطهد" من أجل الحصول على مزيد من الإعانات.^{٥٤}

ومن الواضح أن النقطة الأخيرة أعلاه أغفلت كون إسرائيل لم تكن تتحجج باضطهاد اليهود الواقع في زمن المحاكمة بقدر تحججها باضطهادهم في المراحل التاريخية السابقة، والذي بلغ ذروته بالإبادة النازية - وهذا ليس خرافة، وإنما واقع حقيقي وبالغ الفظاعة. وقد يرى البعض في هذا الأمر شكلاً مقتنعاً من إنكار المحرقة، غير أن هذا التفسير ليس مبرراً، لأننا لا نستشف في أي فقرة من فقرات هذه المقالة البالغة الطول أي شكل من أشكال إنكار المحرقة، فالجملة الملتبسة الوحيدة هي تلك المقتبسة أعلاه. هذا، واعتبرت المقالة بعد ذلك أن إجراء محاكمة أيخمان في إسرائيل أمر غير مشروع، بصرف النظر عن أنها غير شرعية من وجهة نظر القانون الدولي.

وتابعت المقالة بالإشارة إلى أن اليهود الأميركيين أعربوا في "المؤتمر الصهيوني العالمي" الذي عُقد في كانون الأول /

محاكمة أدولف أيخمان

في ١٢ نيسان / أبريل، بدأت "الأهرام" تقريرها عن اليوم الأول من المحاكمة بفقرة موجزة في الصفحة الأولى، ثم أكملتها في الصفحات الداخلية. واستند التقرير إلى خبر نشرته وكالة "يو بي آي"، وقدم عرضاً مفصلاً للحجج التي ساقها سرفاتيوس للاحتجاج على شرعية المحاكمة. والأهم كثيراً من التقرير كان عمود لظفي الخولي عن أيخمان في "صفحة الرأي" في عدد اليوم نفسه،^{٥٣} فالخولي لم يكن مجرد كاتب غير دائم في تلك الصفحة، بل كان في الواقع أحد محرريها. كان الخولي من أشهر الماركسيين في مصر في ذلك الوقت، وكاتباً معروفاً في مختلف أنحاء العالم العربي، ولا بد من التوقف بإيجاز عند قصته لأنه أدّى، منذ ذلك الوقت، دوراً أساسياً في "الأهرام". فقصته تشكّل مثلاً ممتازاً ومؤشراً بارزاً إلى التطور السياسي - الأيديولوجي للناصرية، مع الراديكالية اليسارية الحادة التي شهدتها منذ مطلع الستينيات حتى هزيمتها على يد إسرائيل في سنة ١٩٦٧.^{٥٤}

كان الخولي محامياً من حيث التدرج والمهنة الأصلية، وكان عضواً ناشطاً في الحركة الشيوعية المصرية، وقد جرى توقيفه وسجنه عدة مرات نتيجة ذلك. ترك الحزب الشيوعي (جناح الحركة الديمقراطية للتححر الوطني - "حدثو") في سنة ١٩٥٥ بسبب اعتراضه على تنديد الحزب اليسراوي بعيد الناصر وبحركة عدم الانحياز، ونظم مجموعة من المفكرين الماركسيين المستقلين، بينهم شيوعيون وتروتسكيون سابقون. وعلى الرغم من استقالته من "حدثو"، والتي لم يُعلنها على الملأ، فإنه كان ضمن العدد الكبير من الشيوعيين الذين جرى اعتقالهم في سنة ١٩٥٩ في ذروة المواجهة بين عبد

الناصر والحركة الشيوعية، ثم أُفرج عنه في أواخر سنة ١٩٦٠. كان هيكل يعرفه جيداً ويعلم أنه ماركسي مستقل يدعم التجذّر اليساري للنظام، وقد أقنع عبد الناصر بالسماح له بتوظيف الخولي في صحيفة "الأهرام"، إلى جانب أعضاء ماركسيين آخرين في مجموعته. وفي مطلع سنة ١٩٦١، عُهدت إلى الخولي إدارة صفحة الرأي، وانضم إلى مجلس التحرير أعضاء آخرون من مجموعته (بينهم ميشيل كامل).^{٥٥}

عنوان العمود الذي كتبه لظفي الخولي والذي نُشر في اليوم الأول من المحاكمة، كان "أيخمان بين النازية والصهيونية"، وجاء في بدايته "عمدت الدعايات الصهيونية إلى تصوير إدانتنا لأسلوب شريعة الغاب الذي سلكته إسرائيل في عملية الاختطاف، على أنها دفاع مَنّا عن أيخمان". وقد دحضت المقالة هذه المزاعم مستندة إلى المنطق التقليدي لدى الماركسيين العرب في مناهضة الصهيونية، بما فيه التركيز على السمات المشتركة بين الصهيونية والنازية، لإدانة الاثنتين معاً.^{٥٦}

وشرحت المقالة أن الشعوب العربية تخوض نضالاً ثورياً ضد الاستعمار والعنصرية، وأنها لم تضطهد قط اليهود غير الصهيونيين، وتابعت أن العرب يقيمون تمييزاً واضحاً بين اليهود والصهيونيين، ولهذا يمكن للمرء أن يجد في حي الأزهر في القاهرة متاجر يديرها يهود بجوار تلك التي يديرها مسيحيون ومسلمون. وتابع الخولي كاتباً:

وإذن، فنحن بطبيعة موقفنا الثوري من الاستعمار والعنصرية لا يمكن أن ندافع عن أيخمان والنازية لموقفه العدائي العنصري من اليهود كما تزعم الدعايات الإسرائيلية. بل الطبيعي أن نعادي كل ما يمثله أيخمان والنازية من فهم واتجاهات

في ١٤ نيسان / أبريل نُشرت مقالة طويلة في "الأهرام" عرضت سير القادة النازيين الستة الفارزين من وجه العدالة، والذين كانوا يتصدرون قائمة المطلوبين من إسرائيل بعد أيخمان، وتحدثت عن المطاردة التي يتعرضون لها من المنظمات الصهيونية على حد تعبيرها. وفي اليوم التالي، تطرّق خبر موجز، نقلاً عن وكالة "رويترز" في الصفحة الأولى، إلى إجراءات محاكمة أيخمان، ولا سيما تشكيك سرفاتيوس في شرعية إجراءاتها في إسرائيل، وختم بالإشارة إلى عملية اقتحام نفذتها الشرطة لاجتماع كان يعقده نازيون جدد في هوليوود حيث تم العثور على لافتة مؤيدة لأيخمان.^{٥٩} وفي ١٦ نيسان / أبريل، تحدثت مقالة موجزة عن الأثر التحفيزي لمحاكمة أيخمان في إسرائيل في النازيين الجدد في العديد من البلاد الغربية، الأمر الذي دفع بالبريطانيين والألمان منهم إلى عرض جائزة قدرها ١٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني لمن يقبض على بن - غوريون وصائد النازيين الإسرائيلي توفيا فريدمان.^{٦٠} وفي ١٨ نيسان / أبريل، ذكر خبر موجز جداً أن أيخمان أنكر التهم المنسوبة إليه، وأن محاميه شكك من جديد في صلاحية المحاكمة.^{٦١} في ٩ أيار / مايو، أورد تقرير عن مساءلة الحكومة في مجلس الشعب المصري سؤالاً موجهاً إلى ثروت عكاشة، وزير الثقافة والإرشاد القومي وأحد "الضباط الأحرار" الأوائل، عن السماح بعرض "الأفلام الداعية للصهاينة" في مصر، فردّ عكاشة بأن وزارته وضعت مجموعة من المبادئ تم توزيعها على مستوردي الأفلام، مضيفاً أنه قد تنشأ أحياناً اختلافات في الرأي في الحكم على الأفلام. ثم تناول القضية المحددة التي كانت وراء مساءلته، وهي السماح بعرض فيلم "سيمارون" (Cimarron) في مصر، وهو فيلم أخرجه أنطوني مان في سنة ١٩٦٠، فقال

لا إنسانية. وهو أمر طبيعي أيضاً أن نعادي في نفس الوقت وبالمناطق ذاته موقف بن - غوريون والصهيونية العالمية كحركة وكيان عدواني.^{٥٧}

لقد رأت المقالة أن النازية والصهيونية كليهما مبنيتان على العدوان والعنصرية، "وإذا كان أيخمان النازي مسؤولاً عن قتل الملايين من اليهود في أوروبا فكذلك بن - غوريون الصهيوني مسؤول عن قتل آلاف من العرب، مسلمين ومسيحيين، وتشريد مليون منهم." واعتبر الخولي أن هذا الفارق في الأعداد ليس مهماً، لأن المجرم لا يستطيع أن يكون قاتلاً أكثر من ١٠٠٪، بحسب كلام منسوب إلى المؤرخ الفيلسوف أرنولد توينبي خلال مناقشة علانية مع سفير إسرائيل في كندا. وخلص الخولي إلى الاستنتاج التالي:

أما أن يُحاكِم مجرم مجرماً آخر وتقف الصهيونية موقف الاتهام من النازية فهو وضع أقرب إلى الصورة الكاريكاتورية الساخرة منه إلى محاكمة موضوعية... والحق أن إسرائيل تخشى المحاكمة الموضوعية لأيخمان لأن فيها كشفاً أيضاً لجرائم الصهيونية كامتداد لجرائم النازية. ويوماً ما، قُرِب هذا اليوم أو بعد، سيقف حتماً بن - غوريون وغيره من زعماء الصهيونية في قفص اتهام الإنسانية يحاكمون محاكمة موضوعية عن جرائم إسرائيل المرتكبة لا ضد العرب فحسب، بل وضد اليهود أيضاً الذين عُرِر بهم تحت شعار الوطن القومي [على حساب] استقرارهم وأمنهم ومصالحهم في كل بقعة من العالم.^{٥٨}

الوزير، كما نقلت عنه "الأهرام" في تقريرها، إن الفيلم "يتعرض لشخصية يهودي يتّصف بصفات إنسانية تكسبه عطف المشاهدين، وتغطّي بطريقة إحصائية أخطاء أبناء جنسه" [كذا]،^{٦٢} ولذلك قررت وزارة الثقافة وقف عرض الفيلم في دور السينما وقامت بحظره.^{٦٣} في ١٢ أيار / مايو، نُشرت مقالة بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لإعلان دولة إسرائيل (١٤ أيار / مايو ١٩٤٨) بعنوان: "إسرائيل تواجه أغرب احتفال في تاريخها القصير"، وأشار عنوانان فرعيان إلى مضمون المقالة: الأول، أكد أن "أسطورة الجنة في أرض الميعاد لم تعد كافية لخداع اليهود"، بينما لفت الثاني إلى فشل إسرائيل في أن تتحول إلى دولة لليهود كافة. بدأت المقالة بالتشديد على أن هذه الذكرى تأتي في وقت تتخبط إسرائيل في أزمة سياسية، فهي من دون حكومة منذ ثلاثة أشهر، فضلاً عن صعوباتها الاقتصادية،^{٦٤} كما أن قضية أيخمان لم تتمكن من تحويل انتباه الرأي العام بعيداً عن السياسة الداخلية، إذ تفوّقت عليها قضية إسرائيل بير، معاون بن - غوريون الذي تبين أنه جاسوس سوفياتي. علاوة على ذلك، فإن موجة الهجرة اليهودية إلى إسرائيل كانت في مستواها الأدنى: استقطبت إسرائيل أقل من مليون يهودي منذ سنة ١٩٤٨ حتى سنة كتابة المقالة، في حين كان ١٢,٥ مليون يهودي يعيشون خارجها.

"ولذلك"، وفقاً للمقالة، "أعلن بن - غوريون في المؤتمر الصهيوني العالمي رقم ٢٥ أن كل يهودي خارج إسرائيل ليس صهيونياً، بل إنه قد كفر واعتدى على قوانين الديانة اليهودية وكتابها المقدس"، الأمر الذي زاد، بحسب الكاتب، من حدّة خلاف إسرائيل مع يهود العالم. ثم شددت المقالة على الفارق بين اليهودية بصفتها ديناً، والحركة الصهيونية التي أبصرت النور في

سنة ١٨٩٧. واعتبرت المقالة أن إسرائيل، بعد نشأتها في سنة ١٩٤٨، واجهت حقيقة أن يهود العالم لا يشكّلون أمة، وإنما ديانة عالمية، وأنها لا تستطيع بالتالي التكلم باسمهم. وأضافت المقالة أنه حتى في الولايات المتحدة فإنه لا يُنظر إلى الديانة اليهودية على أنها قومية، وخلصت إلى أن يهود العالم ليسوا ممثلين في الكنيست، ولا يخدمون في القوات المسلحة الإسرائيلية: "إن إسرائيل لا تمثل إلا حركة سياسية اتخذت من الدين ستاراً يخفي حقيقتها."^{٦٥} واعتباراً من ١٨ أيار / مايو، بدأت صفحة الرأي في "الأهرام" تنشر سلسلة من المقالات، كل منها بحجم نصف صفحة، بعنوان "نحن وإسرائيل"، وكان الهدف منها تزويد القراء بمعلومات عن إسرائيل - سياستها واقتصادها ومجتمعها - أكثر دقّة وتماسكاً من تلك التي كانت في حيازتهم عامة بحسب التقدير. وقد استهلّت السلسلة بمقالة عن الصهيونية بقلم لطف الخولي نفسه بعنوان "مذابح الصهيونية تشعلها نفس العنصرية" التي أشعلت مذابح النازية، عرضت بالتفصيل النقاط التي وردت في عمود الخولي المنشور في ١٢ نيسان / أبريل، والذي أوجزنا مضمونه آنفاً، فبدأت بدحض زعم إسرائيل بأن العرب معادون لإسرائيل بسبب موقف الإسلام العنصري من اليهود، ثم شددت على الفارق بين العرب الذين ينتمون إلى أديان شتى، وبين المسلمين، كي تشرح لماذا لا تُعدّ المعارضة العربية لإسرائيل دينية، قبل أن تؤكد أن الصهيونية هي التي لجأت في الحقيقة إلى حجج دينية عنصرية في ادعاءاتها بشأن أرض فلسطين.^{٦٦} وشرح الخولي أن العرب لم يتبنوا قط العداء الأوروبي للسامية، والذي كان وليد تاريخ يجد جذوره في صدام المصالح الاقتصادية والعصبية المذهبية بين

الصهيونية" بعنوان "القومية الصهيونية بين الحقيقة والخيال". وقد انتقدت المقالة المفهوم اليهودي عن "شعب الله المختار"، شارحة أن هذه الفكرة تخطتها كونيّة المسيحية والإسلام، كما أنها دحضت المزاعم الصهيونية بأن أرض فلسطين هي ملك لليهود انطلاقاً من اعتبارات توراتية، وخلصت إلى أن الصهيونية خلطت بين القومية والدين من منظور عنصرى.^{٦٨}

وناقشت المقالتان الثالثة والرابعة في السلسلة السجل التاريخي بدءاً من وعد بلفور في سنة ١٩١٧ الذي منح الحركة الصهيونية ضوءاً أخضر بريطانياً لاستعمار فلسطين، وصولاً إلى الحرب العربية - الإسرائيلية في سنة ١٩٤٨،^{٦٩} بينما تطرقت المقالات اللاحقة إلى الاقتصاد الإسرائيلي، واعتماده على المساعدات الخارجية، وهشاشته.^{٧٠} أما موضوع المقالة التي نُشرت في ٣١ أيار / مايو، فكان عن النظام السياسي الإسرائيلي الذي وُصف بأنه نسخة مشوهة عن النظام البرلماني البريطاني،^{٧١} وتبع ذلك في اليوم التالي مقالة أخيرة في السلسلة عرضت القوى السياسية المتناحرة في إسرائيل.^{٧٢} وفي ٧ حزيران / يونيو، نُشرت مقالة نقلاً عن وكالة "أسوشيتد برس"، وجاء فيها أن أربع صحف بريطانية نشرت خبراً عن إحباط الشرطة البريطانية خطة أعدّها نازيون جدد لخطف السفير الإسرائيلي لدى المملكة المتحدة بهدف مبادلتة بأيخمان، لكن سكوتلند يارد نفت الخبر.^{٧٣}

الحكم والإعدام

رُفعت محاكمة أدولف أيخمان في ١٤ آب / أغسطس في انتظار أن يصدر القضاة الحكم، وقد أعلنت "الأهرام" عن رفع المحاكمة

اليهود والمسيحيين، وهو ما دفع التجار المسيحيين إلى استعمال الدين لترويج أجندتهم الاقتصادية. وأضاف أن الاختلاف مع أوروبا يظهر من خلال أن المجازر الأولى التي ارتُكبت بحق اليهود في أوروبا تزامنت مع الحملة الصليبية الأولى ضد العرب، بينما كان اليهود يشاركون مشاركة كاملة مع المسلمين في تطوير الحضارة العربية. وكذلك ساهم يهود مصر في النضال الوطني والديمقراطي لجميع المصريين اعتباراً من القرن التاسع عشر. ثم نقل الخولي عن حاخام اليهود الأكبر في مصر، حاييم ناحوم، الذي كان قد توفي قبل مدة قصيرة، قوله خلال العدوان الثلاثي على مصر في سنة ١٩٥٦، إن اليهود المصريين هم جزء لا يتجزأ من الأمة المصرية يتمتعون بحقوق متساوية، وإنه لا يحق لإسرائيل التكلم باسمهم. وخلص الخولي إلى أن الصهيونية حركة عنصرية حتى النخاع: لم تظهر عنصريتها في معاملتها للعرب الفلسطينيين فحسب، بل في معاملتها لليهود الشرقيين أيضاً. واستُكملت مقالة الخولي بقطعتين أخريين في ٢٠ أيار / مايو: الأولى تعريف موجز للصهيونية بقلم مجدي وهبة الذي كان يكتب عموداً بانتظام في صفحة الرأي مخصصاً لتعريف المفاهيم السياسية والفلسفية. فبعد وصف نشأة الصهيونية الدولية الحديثة، شدّد وهبة على فكرتين: أولاً، أن ثمة العديد من الجماعات اليهودية حول العالم، وحتى في الولايات المتحدة، التي ليست صهيونية، وإنما على العكس تعتبر أن الصهيونية تتعارض مع اليهودية؛ ثانياً، أنه لا داعي لأن يكون المرء يهودياً كي يكون صهيونياً (نُكر ونستون تشرشل هنا كمثال لنصير غير يهودي للصهيونية).^{٧٤} والقطعة الثانية مقالة طويلة بقلم حسين فوزي النجار عن "فلسفة

سؤال هؤلاء القادة ماذا فعلوا لإنقاذ اليهود، بينما كانوا هم أنفسهم يستمتعون بالحياة تحت حماية الحلفاء. وفيما يتعلق بموضوع وصف العرب بأنهم عنصريون، فإن القادة الإسرائيليين هم الذين أخرجوا لدى انكشاف التعاون الواسع بين النازيين والقادة الصهيونيين، فضلاً عن إصرار أيخمان على تعاطفه مع الصهيونية. وزعمت المقالة أن أديناور نفى رسمياً مشاركة هانز غلوبكي في إعداد السياسة النازية، وهو زعم لا يخلو من السذاجة.^{٧٦} وهكذا انقلبت المحاكمة على بن - غوريون في السياسة الداخلية الإسرائيلية، مساهمة في خسارته في الكنيسة بعد وقت قصير من رفعها. تابع منصور مقالته برواية بعض محطات المحاكمة وبوصف الاستراتيجية المتبعة في الدفاع عن أيخمان، وعرض في الختام، وجهتي النظر المتعارضتين في إسرائيل بشأن الحكم الذي يجب إصداره بحق أيخمان. لقد كان الجانبان متفقين على أنه مذنب، لكن بعضهم اعتبر أنه يجب الحكم عليه بالإعدام نظراً إلى فظاعة جرائمه، وناقش هؤلاء أين يجب أن يُدفن لأنهم كانوا يرفضون دفنه في إسرائيل، وكانوا يعلمون أن إدارة أديناور لن تقبل أيضاً بدفنه في ألمانيا. أمّا البعض الآخر فكان يعتبر أن إعدام أيخمان يؤدي له خدمة في الحقيقة، وفضلوا أن يُحكم عليه بالسجن المؤبد - حتى إن بعضهم اقترح تسليمه إلى ألمانيا الغربية لمحاكمته هناك من جديد.

في ١٢ كانون الأول / ديسمبر، ذكر خبر نُشر مطلع في الصفحة الأولى، إعلان المحكمة تجريم أيخمان في التهم الخمس عشرة المنسوبة إليه.^{٧٧} وفي اليوم التالي، أكد خبر قصير جداً في الصفحة الأولى أن حكم المحكمة سيصدر في غضون أيام قليلة جداً.^{٧٨} وفي ١٥ كانون الأول / ديسمبر، نُشر

في خبر موجز جداً في ١٦ آب / أغسطس، تبعه بعد بضعة أيام خبر موجز آخر عن إعادة أيخمان من القدس إلى السجن في حيفا حيث كان محتجزاً قبل محاكمته.^{٧٤} لكن في ٢٥ آب / أغسطس، نُشرت مقالة طويلة على صفحة كاملة، عرضت إجراءات المحاكمة عرضاً نقدياً بعنوان: "أخيراً انتهت مسرحية محاكمة أيخمان"،^{٧٥} وكانت بقلم سامي منصور، كاتب التحليل بشأن أهداف المحاكمة الذي نُشر في ٨ نيسان / أبريل ١٩٦١. وقد استُهلّت المقالة بتعليق ساخر فحواه أن أحد الأسئلة الرئيسية التي طُرحت خلال النقاش العام كان أين سيُدفن أيخمان (للعلم، أُحرق جثمانه ونُثر رماده في البحر)، كما أن أرقام المحاكمة (أربعة أشهر، أكثر من ٦٠٠ ألف كلمة، ١١٢ شاهداً، ١٦٠٠ وثيقة، و ١٥ فيلماً) قورنت بخسارة بن - غوريون خمسة مقاعد في الكنيسة. واستخلصت المقالة أنها كانت عملية سياسية فاشلة انطلاقاً من تقويم عدد الأهداف التي تحققت من تلك التي عرّفها منصور نفسه في ٨ نيسان / أبريل.

وهكذا، كما يقول منصور، تراجع الاهتمام العام بالمحاكمة كثيراً بعد أسبوع فقط من بدئها، بل حجبتها أخبار أخرى، مثل إرسال الإنسان الأول إلى الفضاء الخارجي، والفضائح السياسية في إسرائيل ذاتها. فالعالم لم يتأثر بـ "خرافة الشعب اليهودي المضطهد" (الجملة نفسها التي استُخدمت في مقالة ٨ نيسان / أبريل)، إذ بدأ أن أوروبا تفضّل نسيان الفضائح التي عانتها خلال الحرب. أمّا بشأن تأثير المحاكمة المفترض في الشباب الإسرائيلي، فقد أكد منصور أنها أغضبت أهلهم الذين تساءلوا لماذا يفتح القادة الإسرائيليون جروحاً قديمة لم يعانوها شخصياً، وأضاف أنها دفعت بالشباب إلى

الفيلم الذي أخرجه ستانلي كرامر في سنة ١٩٦١.^{٨٤} واستهل الخولي مقالته المعنونة "عسكري الدورية... ومحاكمة نورمبرغ" بإدانة من يُظهرون حماسة مفرطة في فرض الرقابة على الفنون، وتطرق إلى الذين يريدون منع عرض فيلم كرامر بحجة أنه "دعاية للصهيونية"، وهي ترداد للحجة نفسها التي كان وزير الثقافة والإرشاد القومي قد استخدمها قبل أقل من عام بهدف منع عرض فيلم "سيمارون".^{٨٥} فقد تحجج هؤلاء بأن الفيلم يصور الاضطهاد النازي لليهود، الأمر الذي يؤدي وفقاً لهم إلى توليد تعاطف مع إسرائيل بهدف دفع الدول الغربية إلى زيادة مساعداتها لها. ودافع الخولي عن الفيلم، معتبراً أنه يصور الاضطهاد النازي العنصري لليهود وسواهم من الجماعات، ثم شدّد على أن حركة التحرر العربية ناضلت ضد العنصرية بمختلف أشكالها، ومن أجل المساواة في الحقوق، في حين أن الصهيونية والنازية صنوان، وقال:

والوعي بهذا الموقف وهذا الفرق الجوهري بين حركتنا والحركة الصهيونية أساسي، لأنه يشعّ بحقيقتنا الإنسانية وسط ضباب الدعاية الإسرائيلية الذي تطلقه بالأكاذيب حول تعصبنا ودفاعنا المزعوم مثلاً عن أيخمان. وهو أيضاً يبصّرنا بالطريق الصحيح لخطوات مسيرنا. من هنا كنا دائماً - ولا نزال - ضد كل تعصب عنصري سواء أكان نازياً أو فاشياً أو صهيونياً. وكنا ولا نزال ضد أي اضطهاد عنصري لأي إنسان ولو كان يهودياً. فإذا جاء فيلم محاكمة نورمبرغ وأدان بروعة فنية التعصب

في الصفحة الأولى صورة لأيخمان يستمع إلى طلب المدعي العام الإسرائيلي الحكم عليه بالإعدام، وأرفقت بخبر موجز عن أن جمعية مناهضة للإعدام في كاليفورنيا الجنوبية وجهت برقية إلى السلطات الإسرائيلية تنادىها عدم إعدام المسؤول النازي السابق.^{٧٩} وفي اليوم التالي، أورد خبر نُشر في الصفحة الأولى نقلاً عن وكالة "يوبي أي"، ومرفقاً بصورة لأيخمان، حكم الإعدام شنقاً الذي أصدره القضاة الإسرائيليون بحق أيخمان في ١٥ كانون الأول / ديسمبر. وجاء في الخبر أن أيخمان التزم الصمت بعد صدور الحكم، وأن محامي الدفاع أعلن أنه سيستأنف الحكم. وورد في الخبر أيضاً أنه سيكون على الكنيست إقرار قانون خاص يُجيز إعدام أيخمان، لأن عقوبة الإعدام كانت قد ألغيت في القانون الإسرائيلي.^{٨٠}

في ١٧ كانون الأول / ديسمبر، نقل خبر وجيز من بوينس آيرس عن الابن البكر لأيخمان قوله إن عائلته لن تطلب استعمال الرأفة،^{٨١} مضيفاً أن تصرّف والده كان فقط بدافع الولاء لجيش بلده.^{٨٢} ونُقِل أيضاً تعليق إذاعة موسكو وفحواه أنه يجب محاكمة جميع المجرمين النازيين الذين وضعوا الخطط العسكرية للحلف الأطلسي، أسوة بأيخمان. وفي اليوم التالي، أكد خبر وجيز أن سرفاتيوس استأنف الحكم، وأن أيخمان موجود في الحبس الانفرادي حيث يرتدي البرّة الحمراء الخاصة بالمحكومين بالإعدام.^{٨٣} ولم تنشر "الأهرام" أي أخبار إضافية عن قضية أيخمان إلى حين انطلاق إجراءات الاستئناف في آذار / مارس ١٩٦٢. على خلفية محاكمة أيخمان، نُشر في الأول من شباط / فبراير ١٩٦٢ مقالة مدوية بقلم لطفي الخولي عن مسألة الرقابة، دافع فيها عن عرض فيلم "محاكمة نورمبرغ" (Judgement at Nuremberg) في مصر، وهو

العنصري واضطهاد النازي لكل ما هو غير آري الجنس، كان الفيلم متفاعلاً ومتجاوباً مع حركتنا، وليس هناك من سبب بعد ذلك أن تخلق أيواينا دونه.^{٨٦}

واعتبرت المقالة أنه من الخطأ الاعتقاد أن مثل هذا الفيلم من شأنه أن يؤدي إلى مزيد من التعاطف الغربي مع إسرائيل مترافقاً مع مساعدات مالية وشحنات أسلحة، فقد أكد الخولي "أن إسرائيل لم تخلق بالعواطف، وإنما قامت تنفيذاً لخطة استراتيجية للقوى الاستعمارية"، ذلك بأن قوى الاستعمار الغربية لم تتوقف عن إرسال المساعدات إلى إسرائيل منذ اليوم الأول. وندد المؤلف بمن يريدون "مقاطعة كل عمل فني أو علمي أو مبدع للفن، إمّا بحجة أنه يهودي، أو أنه زار إسرائيل": "فهل نقاطع اكتشافات أينشتاين العلمية لأنه يهودي، أو نقاطع أفلام شابلن لأنه يهودي؟!"^{٨٧} وحذر الخولي من أنه في هذه الحالة، سينتهي الأمر بالعرب إلى عزل أنفسهم عن الاتجاهات الأساسية في العلوم والثقافة والفنون، وختم المقالة بتوجيه تحية قوية إلى الرقيب العام الذي أجاز عرض الفيلم.^{٨٨}

في ٢٣ آذار / مارس، جاء في خبر وجيز مرفق بصورة لأبخمان في المحكمة أن المحكمة العليا الإسرائيلية تتجه نحو رفض الاستئناف، ونقل عن سرفاتيوس قوله إن أبخمان، بصفته مواطناً ألمانياً، سيقاضي إسرائيل على خطفه أمام محاكم ألمانيا الغربية، وكذلك أمام الأمم المتحدة.^{٨٩} وفي ٥ نيسان / أبريل، أورد خبر موجز جداً أن السلطات الإسرائيلية سمحت لزوجة أبخمان بالقدوم إلى إسرائيل ٢٤ ساعة لزيارة زوجها بعد صدور الحكم النهائي.^{٩٠} وفي ٣٠ أيار / مايو، ورد في خبر موجز في الصفحة الأولى أن المحكمة العليا الإسرائيلية رفضت طلب

الاستئناف الذي تقدّم به أبخمان، وثبتت حكم الإعدام الصادر بحقه،^{٩١} كما ذكر الخبر أن المسؤول النازي السابق أصغى برباطة جأش إلى الحكم. وفي الأول من حزيران / يونيو، أعلن خبر من سبعة أسطر في الصفحة الأولى عن اقتراب موعد إعدام أبخمان بعدما رفض الرئيس الإسرائيلي طلب استعمال الرأفة الذي تقدّم به،^{٩٢} وفي الواقع، فإن أبخمان كان قد أعدم في الليلة السابقة، في ٣١ أيار / مايو.

في ٢ حزيران / يونيو ١٩٦٢، ورد في مقالة نُشرت في الصفحة الأولى تحت العنوان الرئيسي مباشرة، وقائع إعدام أبخمان، وجاء في عنوان المقالة أن مجرم الحرب النازي "هتف بحياة ألمانيا" قبل شنقه.^{٩٣} وورد في عنوان فرعي أنه رفض أن يغطوا وجهه، وأنه تقدّم نحو حبل المشنقة بخطى عسكرية. وعرضت المقالة، نقلاً عن وكالة "رويترز"، لحظات أبخمان الأخيرة، بينما تطرقت مقالة أخرى في الصفحة الثانية إلى ردادات الفعل التي انتقدت الإعدام، فأشار عنوانها إلى حدوث أعمال معادية لليهود في الأرجنتين، بينما نقل عنوان فرعي عن نجل أبخمان قوله إن إسرائيل اتخذت والده ضحية بهدف انتزاع تعويضات من ألمانيا الغربية.^{٩٤} وأوردت المقالة تعليقات دولية عديدة أثارت تساؤلات بشأن الحكمة من إعدام أبخمان، وختمت بتعليق للحاخام فيكتور راختر (ص ٩٨ انجليزي) من سنسناتي الذي اعتبر أن الحكومة الإسرائيلية خالفت تعاليم الدين اليهودي بتنفيذها حكم الإعدام بحق أبخمان.^{٩٥} وفي ٣ حزيران / يونيو، تطرقت مقالة في الصفحة الثانية إلى ردادات الفعل السلبية على إعدام أبخمان، ولا سيما الأعمال الصادرة عن المعادين لليهود وعن النازيين الجدد، وأشار عنوانها إلى إدانة الرئيس الأرجنتيني للإعدام، كما أوردت أن أغلبية

المتقلة بالأحكام المسبقة، إلى صنف حاذق من الماركسية، مثلما يمكن توقعه من نظام انتقل من القومية إلى الاشتراكية في مرحلة من التاريخ شكّل خلالها هذا النوع من التجذّر سمة طاغية في حركات العالم الثالث القومية عامة.

فبعيداً عن التصوير الكاريكاتوري للناصرية على أنها مستنسخة من النازية، والذي روّجته الدعاية الصهيونية، وبعيداً كذلك عن الانطباع الذي تولّد من ذلك وفحواه أن مصر عبد الناصر كانت ستتعاطف مع أيخمان وتتغاضى عن جرائمه ضد الإنسانية،^{٩٨} فإن اللهجة السائدة في تغطية "الأهرام" لقضية أيخمان كانت إدانة انتهاك إسرائيل السافر للقانون الدولي واستغلالها للقضية، مع الإصرار في الوقت نفسه على نبذ النازية والصهيونية معاً. وفي الواقع، فإن تحوّل "الأهرام" سياسياً نحو اليسار انطوى على مزيج من المناهضة الجذرية والراسخة للصهيونية، ورفض أكبر للعنصرية بمختلف أشكالها، بما في ذلك النازية، ونبذ واضح للعداء للسامية. ■

ردات الفعل الدولية على الحدث تراوحت ما بين الاستنكار والتشكيك في ضرورة إعدام أيخمان والجدوى منه.^{٩٦} وفي ٤ حزيران / يونيو، عرض خبر وجيز جداً مزيداً من ردات الفعل السلبية في عدة بلاد.^{٩٧}

خاتمة

هكذا انتهت تغطية قضية أيخمان في "الأهرام". والتمعّن في هذه التغطية يقدّم فكرة شائعة للاهتمام عن الأيديولوجيا السياسية للناصرية في لحظة حاسمة في مسار تجذّرها اليساري المتزايد. وتشكّل المواقف من اليهود، والعداء للسامية، والنازية، محكاً فاعلاً لتقويم الأيديولوجيات السياسية العربية، كما حاولت أن أشرح في كتابي عن ردات الفعل العربية على المحرقة. وفي الواقع، فإن "الأهرام" التي كانت لسان الحال الرئيسي لنظام جمال عبد الناصر، والصحيفة الأكثر تأثيراً في الرأي العام العربي خلال تلك المرحلة، عكست الخليط الأيديولوجي الذي قامت عليه الناصرية، والذي جمع صنفاً من القومية المتشددة

المصادر

- ١ انظر السيرة الأبرز عن أدولف أيخمان في: David Cesarani, *Becoming Eichmann: Rethinking the Life, Crimes, and Trial of a "Desk Murderer"* (Cambridge, Mass.: Da Capo Press, 2007). وانظر أيضاً: David Cesarani, *Eichmann: His Life and Crimes* (London: William Heinemann Ltd., 2004). وبشأن موضوع محاكمة أيخمان، فإن الدراسة الأشمل هي: Hanna Yablonka, *The State of Israel vs. Adolf Eichmann* (New York: Schocken Books, 2004).

وقد نُشرت هذه الدراسة أول مرة بالعبرية في سنة ٢٠٠١.
أما كتاب:

Tom Segev, *The Seventh Million: The Israelis and the Holocaust* (New York: Owl Books, 2000)

فيقدّم صورة لا غنى عنها للسياق التاريخي والسياسي. ونُشر أول مرة بالعبرية في سنة ١٩٩١،
وحُصص الجزء السادس منه (ص ٣٢٣ - ٣٨٤) للحديث عن قضية أيخمان والعلاقات الألمانية -
الإسرائيلية.

وفي هذا الإطار، انظر أيضاً:

Idith Zertal, *Israel's Holocaust and the Politics of Nationhood* (Cambridge: Cambridge University Press, 2005).

أما التعليق الأشهر على محاكمة أيخمان فهو طبعاً لحنّة أرندت، انظر:

Hannah Arendt, *Eichmann in Jerusalem: A Report on the Banality of Evil* (New York: Penguin, 1994).

وصدر التعليق أول مرة في شكل كتاب في سنة ١٩٦٣.

وفيما يتعلق بالترجمة الإنجليزية للمحاضر الكاملة لوقائع محاكمة أيخمان - لكن ليس محاضر
استجوابه لدى الشرطة الإسرائيلية - فإنها متوافرة في موقع:

The Nizkor Project, "The Trial of Adolf Eichmann"

في الرابط الإلكتروني التالي:

<http://www.nizkor.org/hweb/people/e/eichmann.adolf/>

وقد قامت مؤسسة ياد فاشيم (Yad Vashem) مؤخراً بنشر أشرطة الفيديو لجلسات المحاكمة، في

الإنترنت في الرابط الإلكتروني التالي:

http://www1.yadvashem.org/yv/en/holocaust/eichmann_trial/index.asp

يستند هذا البحث إلى مداخلة أُلقيت في مؤتمر عُقد في برلين عن محاكمة أيخمان في أيار / مايو

٢٠١١ في الذكرى الخمسين للمحاكمة، نظّمه متحف الولايات المتحدة التذكاري عن المحرقة

(United States Holocaust Memorial Museum)، والمؤسسة الألمانية (German Stiftung)

(Topographie des Terrors). وقد طُلب مني المشاركة في جلسة بشأن التلقي الدولي للمحاكمة

في ستينيات القرن العشرين. انظر:

"The Eichmann Trial in International Perspective: Impact, Developments, and Challenges", Berlin, 24-26 May 2011.

وهذا البرنامج متوفر في الموقع الإلكتروني لمتحف الولايات المتحدة التذكاري عن المحرقة

(USHMM) في الرابط الإلكتروني التالي:

<http://www.ushmm.org/research/center/presentations/discussions/details/eichmann-trial/program.php>

٣ جمال عبد الناصر، "فلسفة الثورة" (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٤).

٤ Rami Ginat, *Egypt's Incomplete Revolution: Lutfi al-Khuli and Nasser's Socialism in the 1960s* (London: Frank Cass, 1997), p. 57.

- ويضيف غينات: "في سنة ١٩٦٧، بلغ عدد مشتركى [الأهرام] ٣٠٠,٠٠٠ مشترك، وهو رقم غير مسبوق في نسب توزيع الصحف العربية اليومية."
- ٥ Raul Hilberg, *The Destruction of the European Jews* (Chicago, Illinois: Quadrangle Books, 1st ed., 1961).
- ٦ Arendt, op. cit., p. 10.
- ٧ Yablonka, op. cit., p. 84.
- ٨ Ibid., p. 191.
- ٩ Ibid., p. 252.
- ١٠ نوقشت هذه المسألة بالتفصيل في كتاب: جلبير الأشقر، "العرب والمحركة النازية: حرب المرويات العربية - الإسرائيلية" (القاهرة: المركز القومي للترجمة؛ بيروت: دار الساقي، ٢٠١٠)، ولا سيما في ص ٢٣٢ - ٢٤٢.
- ١١ Tom Segev, *Simon Wiesenthal: The Life and Legends* (London: Jonathan Cape, 2010), p. 87.
- ١٢ من الأمثلة الكثيرة الموقع الإلكتروني الصهيوني <http://www.palestinefacts.org> الذي يؤكد متبجحاً: "بحسب وثائق نورمبرغ وجلسات محاكمة أيخمان، فإن القوات الخاصة النازية (SS) في ألمانيا النازية ساهمت في تمويل جهود الحسيني في ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ في فلسطين. وقد زار أدولف أيخمان فلسطين والتقى الحسيني، وبقي على تواصل مستمر معه لاحقاً في برلين." والنص بالإنجليزية المعنون:
"Who was the Grand Mufti, Haj Muhammed Amin al-Husseini?"
موجود في الرابط الإلكتروني التالي:
http://www.palestinefacts.org/pf_mandate_grand_mufti.php
ومما يزيد في عبث الزعم أن أيخمان التقى المفتي، أنه عندما حطَّ الأول في حيفا في ٢ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٣٧، كانت القوات البريطانية تحاصر المفتي في المسجد الأقصى في القدس حيث كان يحتمي.
- ١٣ Cesarani, *Becoming Eichmann...*, op. cit., p. 56.
- ١٤ وجهاز الأمن النازي (SD) كان الجناح الاستخباراتي في القوات الخاصة النازية (SS).
ترد هذه القصة في: Ibid., pp. 53-57.
- ولمزيد من المعلومات بشأن هذا الموضوع، يمكن العودة إلى البحث الأساسي الذي وضعه فرنسيس نيكوسيا (Francis R. Nicosia) عن العلاقات بين النازيين والصهيونيين بعنوان:
Zionism and Anti-Semitism in Nazi Germany (Cambridge: Cambridge University Press, 2008), pp. 123-126.
- ١٥ نُشرت مذكرات أيخمان لسنة ١٩٦٠ في الصحيفة الألمانية Die Welt يومياً وعلى دفعات خلال الفترة ١٢ آب / أغسطس - ٤ أيلول / سبتمبر ١٩٩٩. ويمكن الاطلاع عليها في موقع الصحيفة الإلكتروني (أدخل Eichmann Erinnerungen في محرك البحث). وقد نُشرت رواية أيخمان عن اجتماعه بعميل الهاغاناه وزيارته للشرق الأوسط في ٢٠ آب / أغسطس ("Ich traf einen Agenten von der Haganah")، وفي ٢١ آب / أغسطس ("Dann habe ich Dr. Löwenhertz eine Ohrfeige gegeben"). ويمكن الاطلاع على المذكرات التي كُتبت لاحقاً، في الأشهر الأولى من سنة ١٩٦٢، بعنوان Götzen (الأصنام) في الرابط الإلكتروني التالي:

<http://www.schoah.org/shoah/eichmann/goetzen.htm>

حيث نجد عرضاً لمغامرة أيخمان القصيرة في الشرق الأوسط في الصفحات ٧٣ - ٧٥.

Cesarani, *Becoming Eichmann...*, op. cit., p. 274. ١٦

١٧ هنا يخلط أيخمان بين ثيودور هيرتسل، مؤلف "دولة اليهود" (Der Judenstaat). وواضع البيان التأسيسي للصهيونية الدولانية، وبين أدولف بوم، مؤلف Die Zionistische Bewegung (Berlin: Welt-Verl, 1920). وقد قرأ أيخمان الكتابين فعلاً. انظر:

Ibid., p. 47.

The Nizkor Project, op. cit., Session 75, 20 June 1961, ١٨

<http://www.nizkor.org/hweb/people/e/eichmann-adolf/transcripts/Sessions/Session-075-06.html>

١٩ بالنسبة إلى دور الحسيني الفعلي، انظر: الأشقر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٢ - ٢٥٣. وبشأن تضخيم دور الحسيني، راجع: المصدر نفسه، ص ٢٥٩ - ٢٧٥.

Segev, *Simon Wiesenthal...*, op. cit., p. 87. ٢٠

The Nizkor Project, op. cit., Session 80, 27 June 1961, ٢١

<http://www.nizkor.org/hweb/people/e/eichmann-adolf/transcripts/Sessions/Session-080-06.html>

Segev, *Simon Wiesenthal...*, op. cit., p. 113. ٢٢

Ibid., pp. 215-217. ٢٣

استأنف وايزنتال مسعاه التضليلي لاحقاً، خلال حرب الأيام الستة في حزيران / يونيو ١٩٦٧، فعرض في مؤتمر صحفي قائمة تضم ٢٩ اسماً لمجرمين نازيين زعم أنهم لجأوا إلى البلاد العربية، مدّعياً أن مجموع مثل هؤلاء النازيين في الأراضي العربية يناهز ٧٠٠٠ شخص. غير أنه تبين بعد شهرين أن ١٩ شخصاً من أصل الأسماء التسعة والعشرين المذكورة في القائمة غير معروفين لدى أجهزة الاستخبارات الألمانية، وأن واحداً فقط هو ألويس برونر (Alois Brunner) من العشرة الباقين يُعتقد أنه يختبئ في بلد عربي (سورية).

Meir Litvak and Esther Webman, *From Empathy to Denial: Arab Responses to the Holocaust* (London: Hurst, 2009), p. 95. ٢٤

Ibid., p 96. ٢٥

٢٦ "الأهرام"، ٢٤ أيار / مايو ١٩٦٠. والاقتراسات كلها من صحيفة "الأهرام" في هذه المقالة مطابقة للأصل مع تعديل الكتابة المصرية لبعض التسميات، كاستبدال كلمة "الأميركي" بـ "الأميركي"، أو "بن - جوريون" بـ "بن - غوريون".

٢٧ المصدر نفسه، ٢٧ أيار / مايو ١٩٦٠.

٢٨ المصدر نفسه، ٧ حزيران / يونيو ١٩٦٠.

٢٩ المصدر نفسه، ١٠ حزيران / يونيو ١٩٦٠.

٣٠ المصدر نفسه، ١٢ حزيران / يونيو ١٩٦٠. وقد تُرجمت عبارة "بني إسرائيل" بالمصطلح Israelites مع إضافة كلمة "كذا" (sic) في Litvak and Webman, op. cit., p. 100. وهي ترجمة مشروعة لعبارة "بني إسرائيل" الواردة في المقالة العربية والتي تعني أيضاً اليهود (Israelites)، على الرغم من أن السياق يشير إلى دولة إسرائيل.

- ٣١ المصدر نفسه، ١٥ حزيران / يونيو ١٩٦٠.
- ٣٢ المصدر نفسه، ١٦ حزيران / يونيو ١٩٦٠.
- ٣٣ المصدر نفسه، ٢٢ حزيران / يونيو ١٩٦٠.
- ٣٤ المصدر نفسه، ٢٣ حزيران / يونيو ١٩٦٠.
- ٣٥ المصدر نفسه، ٢٤ حزيران / يونيو ١٩٦٠.
- ٣٦ المصدر نفسه.
- ٣٧ المصدر نفسه، ٢٨ حزيران / يونيو ١٩٦٠.
- ٣٨ المصدر نفسه، ٢٩ حزيران / يونيو ١٩٦٠.
- ٣٩ المصدر نفسه، ١٤ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦٠.
- ٤٠ المصدر نفسه، ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٠.
- ٤١ ذكر برنارد لويس أن المقالة الأصلية نُشرت في "المجلة" التي يصفها بأنها "المجلة الثقافية الرسمية في مصر". انظر:

Bernard Lewis, *Semites and Anti-Semites: An Inquiry into Conflict and Prejudice* (New York: W. W. Norton & Co., 1999), pp. 209-283, fn. 15.

وكان الاسم الكامل للمجلة هو "مجلة المجلة: سجل الثقافة الرفيعة" (نُشرت مقالة دسوقي في المجلد ٤، العدد ٤٧، تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٠، ص ٧ - ١١)، ولم يكن لديها أي صفة رسمية. ولويس يصف دسوقي بـ "محاظ القاهرة العسكري"، لكن الرجل لم يكن ضابطاً عسكرياً وإنما رجل شرطة، ولم تكن محافظة القاهرة منصباً عسكرياً في جميع الأحوال.

٤٢ انظر: الأشقر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٢ - ٣٢٥.

Charles Wighton, *Eichmann: His Career and Crimes* (London: Odhams Press, 1961).

وقد ذكرت "الأهرام" خطأً اسم "ويتمان" بدلاً من "وايتون".

٤٤ "الأهرام"، ٢٨ شباط / فبراير ١٩٦١.

٤٥ المصدر نفسه، ٦ نيسان / أبريل ١٩٦١.

٤٦ المصدر نفسه، ٧ نيسان / أبريل ١٩٦١. وعن فايز الصايغ، انظر:

Andrew Kilgore, "25 Years After His Death, Dr. Fayez Sayegh's Towering Legacy Lives On," *Washington Report on Middle East Affairs* (December 2005), pp. 22-23.

وانظر الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.wrmea.com/archives/December_2005/0512022.html

٤٧ سامي منصور هو من المحسوبين على محمد حسنين هيكل الذي وظّفه في "الأهرام" بعد تسلّمه رئاسة تحريرها. ونظراً إلى أهمية الموضوع، فإن من المحتمل جداً أن يكون هيكل قد أدّى دوراً في كتابة المقالة، ذلك بأنه على الأرجح أن مشاركة الاثنين في وضع المقالة تقف خلف الميل الظاهر فيها إلى تبني نظرية المؤامرة، فضلاً عن التعليقات المشوشة بشأن المحرقة، إذ كثيراً ما نزع هيكل نحو تبني أشكال "مخفّفة" من إنكار المحرقة، بما يقلل من حجم الدمار الذي لحق باليهود الأوروبيين (انظر: الأشقر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٨).

- ٤٨ للاطلاع على هذا الجانب في محاكمة أيخمان، انظر:
Arendt, op. cit., pp. 17-19.
- ٤٩ "الأهرام"، ٨ نيسان / أبريل ١٩٦١.
- ٥٠ كانت تلك "المذكرات" عبارة عن مقتطفات خضعت لتحرير مكثف، ومأخوذة من سلسلة طويلة من المقابلات المسجلة التي أجراها أيخمان مع نازي هولندي سابق في بوينس آيرس.
- ٥١ أبدت المقالة تعجباً من تعيين المحامي روبرت سرفاتيوس لتولي الدفاع عن أيخمان، مؤكدة أن النازيين كلهم الذين دافع عنهم أمام محكمة نورمبرغ الدولية حُكم عليهم بالإعدام. وهذا التأكيد كان مخالفاً للوقائع، فضلاً عن أن أيخمان نفسه هو الذي اختار سرفاتيوس.
- ٥٢ "الأهرام"، ١١ نيسان / أبريل ١٩٦١.
- ٥٣ لطفي الخولي، "أيخمان، بين النازية والصهيونية"، "الأهرام"، ١٢ نيسان / أبريل ١٩٦١.
- ٥٤ يعرض غينات بالتفصيل مسار لطفي الخولي السياسي والفكري، ويتعمق في تقويمه في كتابه الذي يتضمن سيرة ذاتية مختصرة. انظر:
Ginat, op. cit., pp. 49-68.
- Ibid., pp. 51-55. ٥٥
- ٥٦ بشأن حجج الماركسيين العرب المناهضة للصهيونية، انظر: الأشقر، مصدر سبق ذكره، ص ٨٩-١٠٨.
- ٥٧ "الأهرام"، ١٢ نيسان / أبريل ١٩٦١.
- ٥٨ المصدر نفسه.
- ٥٩ المصدر نفسه، ١٤ نيسان / أبريل ١٩٦١.
- ٦٠ المصدر نفسه، ١٦ نيسان / أبريل ١٩٦١.
- ٦١ المصدر نفسه، ١٨ نيسان / أبريل ١٩٦١.
- ٦٢ في فيلم "سيمارون" (Cimarron) المقتبس عن فيلم أُخرج في سنة ١٩٣١ مستنداً إلى رواية إدنا فربير (Edna Ferber)، يقع التاجر اليهودي سول ليفي ضحية تحرش عنصري أمام أبناء البلدة اللامبالين، إلى أن يتدخل البطل المثالي لمصلحته. غير أن رواية ليفي هي مجرد مسألة جانبية في الفيلم الذي تتمحور حبكة الأساسية حول تجريد الأميركيين الأصليين من حقوقهم وأملاكهم.
- ٦٣ "الأهرام"، ٩ أيار / مايو ١٩٦١.
- حاز ثروت عكاشة، وهو في الأصل رجل عسكري، دكتوراه في الآداب من جامعة السوربون في باريس في سنة ١٩٦٠ خلال توليه وزارة الثقافة والإرشاد القومي (١٩٥٨ - ١٩٦٢)، وأصبح لاحقاً عضواً في مجلس الإدارة في العديد من الهيئات الثقافية، وتولى حقيبة الثقافة من جديد خلال الفترة ١٩٦٦ - ١٩٧٠، فضلاً عن عضويته في المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو من سنة ١٩٦٢ إلى سنة ١٩٧٠.
- ٦٤ "الأهرام"، ١٢ أيار / مايو ١٩٦١.
- ٦٥ المصدر نفسه.
- ٦٦ لطفي الخولي، "مذابح الصهيونية تشعلها نفس العنصرية التي أشعلت مذابح النازية"، "الأهرام"، ١٨ أيار / مايو ١٩٦١.
- ٦٧ مجدي وهبة، "الصهيونية"، "الأهرام"، ٢٠ أيار / مايو ١٩٦١.

- ٦٨ "الأهرام"، ٢٠ أيار / مايو ١٩٦١.
- ٦٩ المصدر نفسه، ٢٢ أيار / مايو ١٩٦١ - ٢٣ أيار / مايو ١٩٦١.
- ٧٠ المصدر نفسه، ٢٨ أيار / مايو ١٩٦١ - ٣٠ أيار / مايو ١٩٦١.
- ٧١ المصدر نفسه، ٣١ أيار / مايو ١٩٦١.
- ٧٢ المصدر نفسه، ١ حزيران / يونيو ١٩٦١.
- ٧٣ المصدر نفسه، ٧ حزيران / يونيو ١٩٦١.
- ٧٤ المصدر نفسه، ١٦ آب / أغسطس ١٩٦١؛ ٢١ آب / أغسطس ١٩٦١.
- ٧٥ المصدر نفسه، ٢٥ آب / أغسطس ١٩٦١.
- ٧٦ للاطلاع على الرواية الشاملة عن الصفقات بين جمهورية ألمانيا الاتحادية وإسرائيل بشأن محاكمة أيخمان، انظر:
- Klaus Wiegrefe, "The Holocaust in the Dock: West Germany's Efforts to Influence the Eichmann Trial," *Spiegel Online*, 15 April 2011, <http://www.spiegel.de/international/world/0,1518,756915,00.html>
- والمقالة الأصلية وعنوانها:
- "Der Fluch der bösen Tat," *Spiegel Online*, 11 April 2011, موجودة في الرابط الإلكتروني التالي:
- <http://www.spiegel.de/spiegel/print/d-77962916.html>
- ٧٧ "الأهرام"، ١٢ كانون الأول / ديسمبر ١٩٦١.
- ٧٨ المصدر نفسه، ١٣ كانون الأول / ديسمبر ١٩٦١.
- ٧٩ المصدر نفسه، ١٥ كانون الأول / ديسمبر ١٩٦١.
- ٨٠ المصدر نفسه، ١٦ كانون الأول / ديسمبر ١٩٦١.
- ٨١ غير أن زوجة أيخمان كانت قد أرسلت برقية تطلب فيها الرأفة بزوجها.
- ٨٢ "الأهرام"، ١٧ كانون الأول / ديسمبر ١٩٦١.
- ٨٣ المصدر نفسه، ١٨ كانون الأول / ديسمبر ١٩٦١.
- ٨٤ لطفي الخولي، "عسكريي الدورية... ومحاكمة نورمبرج!"، "الأهرام"، ١ شباط / فبراير ١٩٦٢.
- ٨٥ راجع التقرير بشأن مساءلة الحكومة في مجلس الأمة من خلال توجيه سؤال إلى ثروت عكاشة، عن السماح بعرض الأفلام الداعية للصهاينة المذكور في سياق النص، والذي نُشر في ٩ أيار / مايو ١٩٦١.
- ٨٦ لطفي الخولي، "عسكريي الدورية..."، مصدر سبق ذكره.
- ٨٧ كان يُعتقد على نطاق واسع في ذلك الوقت أن تشارلي شابلن يهودي، وهو لم يسعَ قط لدحض هذا الزعم خشية أن يبدو الأمر كأنه يقبل بمنطق المعادين للسامية.
- ٨٨ تعليق ليتفك ووبمان على هذه المقالة معبر جداً. فهما لم يذكر اسم الفيلم الذي دافع عنه الخولي، ووصفاه بأنه "فيلم يُظهر الاضطهاد النازي لليهود"، كما أنهما ارتكبا خطأ في تصوير المقالة على أنها "انتقدت الحظر الذي فرضته مصر على عرض الفيلم غير المسَمّى، في حين أنها أثنت في الواقع على السماح بعرض الفيلم. انظر:
- Litvak and Webman, op. cit., p. 118.

- ٨٩ "الأهرام"، ٢٣ آذار / مارس ١٩٦٢.
- ٩٠ المصدر نفسه، ٥ نيسان / أبريل ١٩٦٢.
- ٩١ المصدر نفسه، ٣٠ أيار / مايو ١٩٦٢.
- ٩٢ المصدر نفسه، ١ حزيران / يونيو ١٩٦٢.
- ٩٣ المصدر نفسه، ٢ حزيران / يونيو ١٩٦٢. وفي الواقع، فإن أيخمان قال: "تحيا ألمانيا، تحيا النمسا، تحيا الأرجنتين"، ووجه تحية إلى كل من زوجته وأسرته وأصدقائه. انظر:
Cesarani, *Becoming Eichmann...*, op. cit., p. 321.
- ٩٤ "الأهرام"، ٢ حزيران / يونيو ١٩٦٢.
- ٩٥ كان حاخام الإصلاح فيكتور رايخرت من أوائل قادة "المجلس اليهودي الأميركي".
- ٩٦ "الأهرام"، ٣ حزيران / يونيو ١٩٦٢.
- ٩٧ المصدر نفسه، ٤ حزيران / يونيو ١٩٦٢.
- ٩٨ ليس مفاجئاً أن ليتفاك ووبمان لخصاً تقويمهما على الشكل الآتي: "إن موقف مصر من المحاكمة عبر جزئياً عن التماهي مع أيخمان، وأساساً بسبب الرغبة في تسديد ضربة لإسرائيل والصهيونية". انظر:
Litvak and Webman, op. cit., p. 124.

صدر حديثاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية

الرواية الفلسطينية الكاملة للمفاوضات

من أوصلو إلى أنابوليس

أحمد قريع (أبو علاء)

٤

مفاوضات أنابوليس

(٢٠٠٧ / ٢٠٠٨)

٣٤٥ صفحة ١٢ دولاراً